نساء خلد ذكرهن التاريخ

(عرض لسيرتهن

من خلال ما ورد فيهن من آثار)

إعداد

د. صفية محمد محمد سرحان

مدرس بقسم الحديث وعلومه

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة الأزهر، بنات، القاهرة

نساء خلد ذكرهن التاريخ

صفية محمد محمد

قسم الحديث وعلومه، كلية الدراسات الإسلامية والعربية (بنات)، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

البريد الإلكتروني: SafiaSarhan.2057@azhar.edu.eg

ملخص البحث :

هذا البحث والذى عنون له بـ (نساء خلد ذكرهن التاريخ)عبارة عن عرض لسيرة نخبة مختارة من النساء الخالدات التى ملأت صفحاتهن بالعطاء والتضحيات، لنقدم من خلال عرض سيرتهن لبناتنا القدوة، خاصة في هذا العالم الذي يموج بالتحديات والمشكلات التي تحاول صرف المرأة عن القيام بدورها وعرقلة مسيرة العطاء المتميز الذي تقدمه نساؤنا منذ فجر الإسلام، فيكون لهن فى سيرة أمهاتهم ما يقوى عزيمتهن، ويُعلى هممهن، فيواصلن العطاء مقتديات بهن، سائرات على نهجهن.يهدف البحث إلى:تقديم القدوة الحسنة: فالإنسان بطبيعته يبحث دائماً عن شخصٍ يتبّعه ويكون له القدوة، وليس هناك أروع من سيرة هؤلاء النساء الفاضلات، وبيان مكانة المرأة المسلمة فى ظل الإسلام، وما حباها به من رعاية وعناية، مماجعلها تنطلق مجتهدة مضحية تقدم فى سبيل نصرته ما لديها من أموال وبنين.

وإبطال إدعاء أن الإسلام حقَّر من شأن المرأة و نال من كرامتها وأنزلها منزلةً وضيعة و حرَّم عليها أن تتمتَّع بالحقوق التي يتمتَّع بها الرجال وإثبات أن المرأة المسلمة تحملت عبء الدعوة إلى الله تماما مثل الرجل. واتبع البحث المنهج الاستقرائي وخلصت هذه الدراسة إلى:

١ـ أن الآثار الواردة فى السير لا يتوفر فى الكثير منها شروط القبول ٢ـ ولقد تضمنت السيرة النبوية مواقفا وأحداثا كثيرة تبرز حضور المرأة ودورها الفاعل في مجالات متعددة خدمة لدينها وأسرتها ومجتمعها وأمتها.٣ـ إن المرأة عاشت في ظل هذا الدين، مكرمة ومتمتعة بكامل حقوقها تشارك أُمتها في تحقيق آمالها وتخفيف آلامها.

الكلمات المفتاحية: سيرة ، غزوة، شجاعة ، خديجة ، عائشة، أم سلمة ، أسماء بنت يزيد، صفية بنت عبد المطلب.

Women Immortalized in History

Safiya Muhammad Muhammad

Department of Hadith and its Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies (Girls), Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

Email: SafiaSarhan.2057@azhar.edu.eg

Abstract:

The present study entitled 'women immortalized in history' is a presentation of the biographical texts of a selected group of immortal women whose life were filled with giving and sacrifices. This presentation aims to provide a role model for our girls, especially in a world full of challenges and problems that attempt to distract women's attention from playing their role, and hinder their path of significant contribution offered by women since the dawn of Islam. The biographies of the Prophet's wives strengthen women's resolve, so that they can follow in their footsteps and continue giving. The study aims to present a role model; man, by nature, always looks for someone to follow and set an example for him, and there is nothing more wonderful than the biography of these virtuous women. It aims to show the status of women in Islam, how they are greatly cared for; as a result, they become diligent women sacrificing for supporting Islam with all her money and children. It aims to dispel misconceptions that Islam belittles the role of women, degrades their dignity, and forbids them from enjoying the rights that men enjoy. It aims to prove that Muslim women have taken the burden of calling to Allah just like men. The study adopts an inductive approach and arrives at the following:

1. Most of what is found in the biographies does not meet conditions of acceptance. 2- The biography of the Prophet (PBUH) includes many situations and events that highlight the presence of women and their effective role in various fields to serve their religion, family, society, and nation. 3- Women under Islam have been respected and enjoying their full rights. They have participated in achieving the nation's hopes and relieving its pain.

Keywords: biography – war – bravery – Khadijah – Aisha - Umm Salamah- Safiya bint Abdul Muttalib - Safiyah bint Abdul Muttalib

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذى خلق الإنسان فى أحس تقويم، ونفخ فيه من روحه، وكرمه أيما تكريم، والصلاة والسلام على أشرف خلقه أجمعين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعد

فقد خلق الله سبحانه وتعالى الكون كله، على أساس من التكامل، والتجانس، ومن أبرز مظاهر هذا التكامل أنه سبحانه وتعالى خلق البشر ذكرا وأنثى، فقد خلقهم من نفس واحدة، وجعلهم جنسا تقوم مصالحه على التعاون والتآزر، فقال تعالى: « يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَنِساءً.» [١]، وقال تعالى:« وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً» [٢]. ففى هذه الآية عظة وتذكير بنظام الناس العام وهو نظام الازدواج وكينونة العائلة وأساس التناسل، وهو نظام عجيب جعله الله مرتكزا في الجبلة لا يشذ عنه إلا الشذاذ[٣]. وقد أشار القرآن الكريم في مواضع عديدة إلى إشتراك كل من الرجال، والنساء معا فى كثير من المهام منها: أنه سبحانه وتعالى أناط بالرجل والمرأة على السواء مهمة تكاثر السلالات البشرية وتعارفها وتعاونها، وإقامة الأسرة باعتبارها الوحدة البنائية الأولى

---

[١] سورة النساء: جزء من آية:١

[٢] سورة الروم: جزء من آية:٢١

[٣] تفسير التحرير والتنوير:٢١/٧٠.

والأساس، في إقامة المجتمعات البشرية، من غير تمايز بينهم، على أساس الجنس أو اللون أو العرق. فالعمل الصالح، وتحقيق الخير للناس هو أساس التنافس بينهم فقال تعالى: « يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» [1] ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال تعالى:« وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم » [2]. وقد سوى الله سبحانه وتعالى بيهم فى جزاء العمل الصالح فقال تعالى:« وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا » [3]

وقال تعالى: « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا»[4] . وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم: « إن النساء شقائق الرجال»[5] ودائما وأبدا لم ينقطع دور المرأة فى المجتمع على مر العصور

---

[1] سورة الحجرات: آية ١٣

[2] سورة التوبة: آية ٧١

[3] سورة النساء: آية ١٢٤

[4] سورة الأحزاب: آية ٣٥.

[5] أخرجه أبو داود فى: كتاب الطهارة ، باب في الرجل يجد البلة في منامه: ٢٣٦/٦١/١ ==

وفى جميع الأقطار، ولكن دورها فى الإسلام كان له طابع خاص؛ لأن الإسلام فتح أمامها الآفاق وأعطى لها الحرية ومنحها حقوق وكفل لها امتيازات جعلتها تنطلق فى جميع المجالات، فشاركت المرأة الرجل في بناء المجتمع الإسلامي، وكان لها دورها المهم في معظم مناحي الحياة دينيًا وتربويًا واقتصاديًا، فمنهن راويات الحديث والفقيهات والشاعرات والطبيبات، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل منهن من شاركن فى الجهاد ووقفت بجانب الرجال فى ساحة المعركة ، وقد سجل لهن التاريخ مواقف تدل على عظمة ما قدمن فى كل هذه المجالات، فأصبحن ملهمات لعلو الهمم .

والمراجع لسجلات التاريخ يجدها حافلة بالكثير من أسماء هؤلاء العظيمات، اللآتى فى قصصهن ما يشحذ الهمم ويقوى العزائم، فى حين أن الناظر فى حال المرأة فى عالمنا المعاصر يجد أن المرأة قد انشغلت بكثير من الأمور الدنيوية، وتعلقت بالتقاليد الغربية مما دفع الكثيرات منهن إلى

==

من طريق قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيد حَدَّثَنَا حماد بن خالد، عن عبد الله، عن أخيه، عبيد الله عن القاسم عن عائشة، قالت: (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما؟...الحديث).

و أخرجه الترمذى فى سننه: أبواب الطهارة، باب فيمن يستيقظ فيرى بللا ولا يذكر احتلاما: ١/١٩٠،١٨٩. /١١٣ ، وقال:(وَعَبْدُ اللهِ) ضَعَّفَهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ فِي الحَدِيثِ. وهو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي العمرى. قال عنه ابن معين: ليس به بأس يكتب حديثه وقال ابن المديني: ضعيف، وكذلك ضعفه النسائى و كان يحيى بن سعيد لا يحدث عنه ، وقال يعقوب بن شيبة: ثقة صدوق في حديثه اضطراب وقال ابن عدي لا بأس به في رواياته صدوق، وقال ابن حجر: ضعيف . يراجع تهذيب التهذيب: ٥/٣٢٧/٥٦٤، والتقريب: ١/٣١٤/٣٤٨٩. فهو ضعيف بهذا الطريق.

التقصير الواضح فى أخص واجباتها، أهملت بيتها، وانصرفت عن رعاية أولادها مما كان له أثر سلبى على المجتمع، ولذا أردت أن أعرض فى هذا البحث المتواضع سيرة نخبة مختارة من هؤلاء النساء الخالدات اللآتي يعتز بهن الإسلام لنوضح للمرأة المسلمة المعاصرة حجم العطاء المنتظر منها تجاه دينها ووطنها وأسرتها- خاصة في هذا العالم الذي يموج بالتحديات والمشكلات التي صرفت المرأة عن القيام بدورها، وعرقلة مسيرة العطاء المتميز - أسوة بنسائنا منذ فجر الإسلام ، وقصدت أن يكون البحث مختصرا ، ولذلك فبالرغم من أن كتب السير تحوى الكثير من سيرة هولاء النساء اللا ئى تحفل حياتهن بالعطاء والتضحية إلا أننى انتقيت بعض النماذج اللآتى كان لهن أثر واضح أستطيع من خلال سرد سيرتها تقديم القدوة وعرض المُثل لكى تتحذى به بناتنا ونساؤنا، ولذا لم أتقيد بأن تكون كل من عُرضت سيرتها من أمهات المؤمنين فقط.

وقد حرصت فى الوقت ذاته على دعم العرض بما ورد فى صاحبة السيرة من آثار مع القيام بدراستها قدر الإمكان وبما يتناسب وطبيعة البحث. وقد كنت ذكرت نماذج أخرى لبعض النساء، ولكن اضطررت إلى حذفها تمشيا مع سياسة النشر فى المجلة.

الهدف من البحث

١- تقديم القدوة الحسنة: فالإنسان بطبيعته يبحث دائماً عن شخصٍ يتبّعه ويكون له القدوة، وليس هناك أروع من سيرة هؤلاء النساء الفاضلات، ففى سيرتهن التأسى واتباع الطريق القويم لمن يطلب رضوان الله والسعادة فى الدارين، وفى سيرتهن الهداية للقلوب المؤمنة والنفوس الصافية.

٢ـ بيان مكانة المرأة المسلمة فى ظل الإسلام، وما حباها به من رعاية وعناية، مماجعلها تنطلق مجتهدة مضحية تقدم فى سبيل نصرته ما لديها من أموال وبنين، فالنفوس جبلت على حب من أحسن إليها، وقد أحسن الإسلام إلى المرأة أيما إحسان، فخالط حبها لدينها كيانها، فدفعها إلى البذل والتضحية فى سبيله.

٣ـ إبطال إدعاء أن الإسلام حقَّر من شأن المرأة و نال من كرامتها وأنزلها منزلةً وضيعة و حرَّم عليها أن تتمتَّع بالحقوق التي يتمتَّع بها الرجال، فالمرأة المسلمة حفظ لها الإسلام مكانتها، ورفع قدرها، وأعلى شأنها، ومنحها كافَّة الحقوق التي يتمتَّع بها الرجل.

٤ـ إثبات أن المرأة المسلمة تحملت عبء الدعوة إلى الله تماما مثل الرجل، وفى ذلك دعوة لأولياء الأمور إنزالها منزلتها، ومشاركتها فى شئون الحياة، وتمكينها من القيام بدورها حتى تكتمل الحياة.

منهج البحث: من المعلوم أن كل بحث لابد له من منهج محدد يسير عليه الباحث فى عرض موضوع بحثه، ليسجل فى نهايته ما انتهى إليه من نتائج وتوصيات، وقد قمت فى هذا البحث بعرض السيرة الذاتية للسخصية، ثم قمت بذكر ما ورد فيها من نصوص رويت فى كتب السنن والتارخ، وعزوتها إلى مصادرها، ثم قمت بدراسة أسانيدها للوقوف على درجتها ومدى إمكانية العمل بها، كما قمت بمناقشة ما ورد فى سيرة بعضهن من لبس فى النسب، وكذلك مناقشة بعض ما ورد من أحداث تتعارض مع مكانة الصحابة رضى الله عنهم،أما فى نقل النصوص ما عدا الأحاديث فقد عزوتها إلى قائليها وبذلت قصارى جهدى فى نقل القول من مصدر قائله، فإن لم أجده عزوته إلى من نقله عنه، ورتبت المراجع ترتيبا أبجديا.

خطة البحث: قسمت هذا البحث إلى: مقدمة وسبعة مباحث وخاتمة

المقدمة: واشتملت على:

مدخل إلى الموضوع، والهدف منه، وخطته، والدراسات السابقة .

المبحث الأول: وتضمن سيرة فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمِ أُمٌّ عَلِيّ بْنِ أَبِي طالب رضى الله عنهما

المبحث الثانى: وتضمن سيرة أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها

المبحث الثالث: وتضمن سيرة أم المؤمنين عاشة رضى الله عنها

المبحث الرابع: وتضمن سيرة أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها

المبحث الخامس: وتضمن سيرة أسماء بنت يزيد بن السكن رضى الله عنها

المبحث السادس: وتضمن سيرة رفيدة الأسلمية رضى الله عنها

المبحث السابع: وتضمن سيرة صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنه

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث

الدراسات السابقة

كتب التاريخ والسير حافلة بسيرة الصحابة والصحابيات وأمهات المؤمنيين والسلف الصالح، وقد عمد الؤرخون القدامى على سرد المواقف وتسجيل ما دقّ وجلّ من الوقائع والشؤون وحشدوا الآثار، منهم من محص الأسانيد، ومنهم من استشهد بها كما هى، كما هو حال معظم المؤرخين، والمصنفات التى صنفت فى هذا المجال كثيرة العدد صعبة الحصر لا تخفى على الدارسين المتخصصين فى علوم الحديث والسيرة النبوية الشريفة.

أما المؤلفون المعاصرون فقد اعتمد الكثير منهم ـ ممن كتب فى سيرة النساء أو الرجال الذين كان لهم دور فى التاريخ الإسلامى ـ فى عرض السيرة على إبراز القصة فى صورة مبسطة سهلة التناول، لتسليط الضوء على ما قدم صاحب السيرة من تضحيات، وما قام به من بطولات يهدف من وراء ذلك الدعوة إلى الاقتداء بصاحب السيرة، والسير على نهج هؤلاء العظماء والتأسى بهم، وفى أثناء عرضه للقصة قد لا يتعرض لذكر الآثار التى وردت فى صاحب السيرة التى يقوم بعرضها. وإن تعرض لذكرها لا يهتم بدراستها وبيان درجتها.

وقد قصدت فى هذا البحث المزج بين الطريقتين، لتكتمل الفائدة، فقد قمت بعرض السيرة بصورة مبسطة مدعمة العرض بما ورد فى صاحبة القصة من آثار، وقمت بدراسة ذلك الآثار بقدر الإمكان، وبيان حالها من حيث القبول وعدمه، مع الأخذ فى الاعتبار أن كثيرا من هذه النصوص الواردة فى كتب السير والتاريخ لم تكن على درجة كبيرة من الصحة ، وذلك ما اتضح خلال البحث. وكذلك حرصت أثناء عرض السيرة على مناقشة ما قد وقع فى بعضها من لبس فى نسب أو عدم منطقبة حدث.

ومن المؤلفات فى النساء على سبيل المثال:

ـ صور مضيئة من حياة السلف الصالح . [١]

بالرغم أن المؤلف عنون للكتاب بالعنوان الذكور إلا أن المحتوى جاء مخالفا لمدلول العنوان ، فقد ذكر كثيرا من النماذج التى لا علاقة لها

(١) تأليف ألاء باسم يوسف سمحان ـ دار مد للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن

بالسلف، فذكر بلقيس ملكة سبأ، وأسيا إمرأة فرعون، ومريم ابنة عمران وسارة زوجة إبراهيم عليه السلام وقصتها مع الملك الجبار، وهاجر أم إسماعيل عليه السلام عليه السلام، ومن ضمن السير التى ذكرها سيرة إمرأة عبر عنها بالمرأة العابدة ابنة ملك الملوك، وقصة لمرأة من الزمن المعاصر، وقصة فتاة جامعية، وذكر حسب قوله قصة مضيئة من حياة إمرأة أمريكية، وقصص لنساء منهن التائبة ، ومنهن المستغيثة، ومن ربطة الهرة، وغيرها من االنماذج التى لا علاقة لها بموضوع الكتاب.

ـ الصديقة بنت الصديق [1]

تكلم المؤلف فى مقدمة الكتاب عن المجتمع العربى قبل الإسلام ونظرته للمرأة، وأنه أولى المرأة أولوية كبيرة، وأحاطها بشئ من الحماية رغم ما انتشر عنه من عادة وأد البنات، وبرر هذا السلوك منهم ـ وأد البنات ـ أنه كان لشدة حرصهم على حمايتها، لأن المرأة أحق شئ بأن يحمى، وأن يغار عليه، ومن فرط الغيرة على العرض وإيثار الموت للبنت على العار أقدم بعضهم على دفن بناتهم أحياء، كما أوضح أن الغيرة على العرض وحدها لم تكن السبب الرئيسى لهذا ولكن كان هناك سبب آخر وهو العيلة وعدم تحمل نفقاتهن.

وبما أن موضع الكتاب يتحدث عن السيدة عائشة رضى الله عنها فقد عرض سيرتها عرضا مميزا بأسلوبه المتميز، فتحدث عن درها فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ودورها فى المجتمع فى هذه الفترة من مشاركة

[1] عباس محمود العقاد ـ إشراف عام: داليا محمد إبراهيم ـ شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط: الرابعة يوليو ٢٠٠٥

مجتمعية واسعة ، ووقوفها بجانب من يحتاج إلى المساعدة ونجدة من يحتاج إليها، كما حدث مع جاريتها بريرة، وتحدث عن مناقبها ومآثرها من ذكاء وجود وإيثار، واهتمامها بكثير من العلوم كالطب وسماع الشعر، وحفظ الأخبار والأنساب، والأهم من ذلك حفظ سنة النبى صلى الله عليه وسلم. ولكنه كغيره من كثير من الكتاب المعاصرين لم يهتم بالآثار التى رويت فى سيرتها، وإن تعرض لشئ يسير منها لم يهتم بتخريجه ولا بدراسته .

ـ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد المثل الأعلى لكل نساء العالمين([1]).

عرض المؤلف فى الكتاب حياة السيدة خديجة رضى الله عنها وتحدث عن مكانتها قبل الإسلام، وألقابها، ومباشرتها للتجارة، وظروف زواجها من النبى صلى الله عليه وسلم، ودورها فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى بداية الدعوة، ووقوفها بجانب النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى زمن المقاطعة التى فرضتها قريش على المسلمين، وقام بعرض السيرة بأسلوب أدبى كغيره من المؤلفين المعاصرين، ولم يتعرض كالعادة لتحقيق النصوص التى أرردها أثناء عرضه للقصة .

والمؤلفات فى أمهات المؤمنين بالإضافة إلى المؤلفات فى النساء اللآتى كان لهن أثر بارز فى التاريخ الإسلامى كثيرة تكاد لا تحصر، وقد كان لأم المؤمنين خديجة رضى الله عنها النصيب الأكبر من تلك الؤلفات فمنها على سبيل المثال:

ـ خديجة بنت خويلد.[2].

([1]) لإبراهيم محمد حسن الجمل ـ دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير (١٩٩٨)

[2] لعبد الرؤوف البنهساري ـ العلم والإيمان للنشر والتوزيع (١٩٠٠)

ـ الطاهرة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد[١].

ـ خديجة بنت خويلد الأسدية خير نساء العالمين.[٢]

ـ خديجة بنت خويلد. [٣]

ـ مسلمات خالدات في ميدان التضحية والفداء خديجة بنت خويلد[٤].

ـ المثال النادر خديجة بنت خويلد[٥].

ـ خديجة بنت خويلد أول الناس إسلامًا[٦].

ـ محمد رسول الله والذين معه خديجة بنت خويلد[٧].

ـ حياة السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام[٨].

ـ أول من أسلمت من النساء السيدة خديجة بنت خويلد[٩].

ـ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد[١٠].

ـ حياة السيدة خديجة بنت خويلد من المهد إلى اللحد[١١].

---

[١] لخالد أبى صالح ـ دار الوطن (١٩٠٠)

[٢] لأشرف محمد الوحش، دار الدعوة للنشر والطباعة والتوزيع (١٩٠٠).

[٣] لمصطفى قطب الجمال، دار القلم للتراث (١٩٩٨).

[٤] يوسف الحمادي، مكتبة مصر للمطبوعات (١٩٩٨).

[٥] لعامر العقاد، دار الجيل للنشر والطبع والتوزيع (١٩٨٨).

[٦] لمحمد علي قطب، دار القلم للطباعة والنشر ـ ط: الأولى (١٩٨٨).

[٧] عبد الحميد جودة السحار، مكتبة مصر للمطبوعات (١٩٩٨).

[٨] لمحمد ناصر الزبيدي ـ دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر ٢٠٠٤م.

[٩] لمحمد ثابت توفيق ـ مكتبة العبيكان ـ ط: الأولى٢٠٠٠م.

[١٠] لعبد المنعم الهاشمي ـ دار ومكتبة الهلال ٢٠٠٠م.

[١١]حسين على الشرهان، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت٢٠٠٥).

المبحث الأول

الأمومة فى أسمى المعانى

نبدأ سيرة هؤلاء النساء العظيمات الكريمات الخالدات بسيرة إمرأة كان لها دور كبير ومؤثر فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم، فقد قامت بتربيته ورعايته بعد وفاة أمه، فهى مظهر من مظاهر عناية الله سبحانه وتعالى به، وتهيئة الظروف لتشئته نشأة سليمة، وإعداده الإعداد الملائم لعظم المسؤلية التى تنتظره، فمن خلال سيرتها نجد كيف قامت برعايته على الوجه الأكمل، وكذلك فقد حوت سيرتها بعض الدروس والعبر، من جانبها ومن جانب النبى صلى الله عليه وسلم، فمن جانبها قد أعطت للنساء قدوة فى كيفية رعاية الأطفال، وخاصة من كان تحت أيديهن من غير أولادهن، أما من جانبه صلى الله عليه وسلم فقد أبان فى تعامله تجاهها عن أسمى درجات الوفاء والاعتراف بالجميل. ورغم عظم الدور التى قامت به تلك السيدة، وأثره فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم ـ كونها تولت رعايته فى مرحلة الطفولة، وما من شك فإن أهم مرحلة تؤثر فى حياة الإنسان وسوائة النفسى هى ظروف تنشئته حال الطفولة ـ إلا أنها لم يسلط عليها الضوء الكافى فى الكتابات التى تحدثت عن الصحبيات حيث نجد أكثرها لا يتعرض لذكرها. ولذلك فقد آثرت بدأ هذا البحث بالحديث عنها. فمن هى تلك السيدة ؟.

إنها فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَي القرشيَّة الهاشميَّة، أُمُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. قد نشأت في الجاهلية بمكة المكرمة، فتزوجت بأبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف، وأنجبت منه عليًّا رضي الله عنه وإخوته: "طالب، وعقيل، وجعفر، وجمانة، وأم هانئ.

رضـى الله عـنهم جميعـا، وهـي تعـد أول هاشـمية ولـدت خليفـة، وأول هاشمية ولَدَت لهاشمي[1].

متى أسلمت؟

قد أسلمت السيدة فاطمة بنت أسد رضي الله عنها بعد وفاة زوجها أبي طالب. وقيل إنها أول إمرأة بايعت النبى صلى الله عليه وسلم بعد نزول قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ.. »[2]

قال القرطبى: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ جَاءَ نِسَاءُ أَهْلِ مَكَّةَ يُبَايِعْنَهُ، فَأُمِرَ أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُشْرِكْنَ[3]. روت عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: « كَانَ الْمُؤْمِنَاتُ إِذَا هَاجَرْن إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُمْتَحَنَّ بِقَوْلِ اللَّهِ تعالى: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ عَلى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْمِحْنَةِ[4]، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَقْرَرْنَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِنَّ قَالَ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ .... »[5]

---

[1] الإصابة في تمييز الصحابة، ١١٥٨٨/٢٦٩/٨.

[2] سورة الحجرات: جزء آية ١٢.

[3] تفسير القرطبى:٧١/١٨ .

[4] فقد أقر بالمحنة: معناه فقد بايع البيعة الشرعية] شرح النووى على مسلم: ١٠/١٣

[5] أخرجه مسلم فى: كتاب الإمارة ، باب كيفية بيعة النساء:٨٨/١٤٨٩/٣

ذكر أبو الفرج الأصبهانى[١] فى كتاب (مقاتل الطالبين) قال: حدّثني أحمد بن محمد بن سعيد[٢]، قال: حدّثنا يحيى بن الحسن العلوي[٣] عن حسين بن حسين اللؤلؤي[٤] قال حدّثنا السّري بن سهل الجند نسابوري[٥] قال حدّثنا محمد بن عمرو ربيح[٦] عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن إبراهيم، عن الحسن البصري، عن الزبير بن العوّام، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يدعوا النساء إلى البيعة حين أنزلت هذه الآية يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا

---

[١] أَبُو الْفرج الْأَصْبَهَانِيّ هو: عَليّ بن الْحُسَيْن الْأمَوِي الْأَصْبَهَانِيّ الأَصْل الْبَغْدَادِيّ المنشأ، وَكَانَ من أَعْيَان أدبائها، صاحب كتاب " الأغاني " وروى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم، وكان عالماً بأيام الناس والأنساب والسير.(وفيات الأعيان:٣/٣٠٧/٤٠٤) قال الذهبى: كان إليه المنتهى في معرفة الاخبار وأيام الناس، والشعر والغناء والمحاضرات، يأتي بأعاجيب بحدثنا وأخبرنا. وكان طلبه في حدود الثلثمائة، فكتب مالا يوصف كثرة حتى لقد أتهم. والظاهر أنه صدوق. وقال: وقد قال أبو الفتح بن أبي الفوارس: خلط قبل موته، ومات سنة ست وخمسين وثلثمائة في ذي الحجة. ومولده سنة أربع وثمانين ومائتين. (ميزان الاعتدال: ٣/١٢٥٨٢٥).

[٢] أحمد بن محمد بن سعيد لم أقف له على ترجمة فيما اطلعت عليه من المراجع.

[٣] يحيى بن الْحَسَن الْعلوِي. قال ابن حجر: وجدت له حديثا موضوعا (لسان الميزان:٨/٤٢٨/٨٤٣٧)

[٤] حسين بن حسين اللؤلؤي. لم أقف له على ترجمة فيما اطلعت عليه من المراجع.

[٥] السَّرِيُّ بْنُ سَهْلِ الْجُنْدَيْسابوري قال ابن حجر: لا يحتج به. لسان الميزان:٣/٢٢/٣٣٦٣.

[٦] محمد بن عمرو ربيح، لم أقف على ترجمته. فالحديث ضعيف كما هو واضح من خلال ترجمة إ سناده.

جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ ، وكانت فاطمة بنت أسد أول امرأة بايعت رسول الله[1].

هجرتها:

هاجرت إلى المدينة المنورة مع أبنائها، وماتت بها، وقد دلل ابن الأثير على صحة خبر هجرتها إلى المدينة بالحديث الذى رواه الأعمش[2]، عن عمرو بن مرة[3]. عن أبي البختري[4]،عن على رضى الله عنه أنه قال:" قلت لأُمِّى فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ: اكْفِي بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخِدْمَةَ خارجا وسِقَاية المَاءِ وَتَكْفِيكِ الْعَمَلَ فِي الْبَيْتِ: الْعَجْنَ وَالْخَبْزَ

---

[1] مقاتل الطالبيين: صـ٢٨،٢٩.

[2] هو: سُلَيْمَانَ بْنَ مِهْرَانَ الْكَاهِلِي الْأَسدي. قال ابن معين ثقة وقال النسائي ثقة ثبت، وقال ابن حجر: ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع لكنه يدلس: (يراجع الجرح والتعديل:٤/١٤٦/٦٣٠، والتهذيب:٤/٢٢٢/٣٨٦، والتقريب:١/٢٥٤/٢٦١

[3] عَمْرِو بْنِ مُرَّة الجملى المرادى, قال يحيى بن معين : ثقة، وقال أبو حاتم: صدوق ثقة (يراجع: الجرح والتعديل:٦/٢٥٧/١٤٢١، التذهيب:٨/١٠٢/١٦٣)

[4] أَبُو الْبَخْتَرِيّ الطَّائِي سَعِيدُ بْن فَيْرُوزَ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ. قَالَ حَجَّاجٌ عَنْ شُعْبَةَ قَالَ: لَمْ يُدْرِكْ أَبُو الْبَخْتَرِي عَلِيًّا وَلَمْ يَرَهُ ، وقال ابن معين: أبو البختري الطائي اسمه سعيد وهو ثبت ولم يسمع من علي شيئا وقال أبو حاتم: صدوق. . (يراجع الطبقات الكبرى:٦/٦٩٧،٢٩٦/٢٣٤٠، وتاريخ ابن معين رواية الدورى:٣/٥٠٩/٢٤٨٧.الجرح والتعديل:٤/٥٤،٥٥/٢٤١ التهذيب:٤/٧٢/١٢٧).

وَالطَّحْنَ" وقال: وهذا يدل على هجرتها، لأن عليا إنما تزوج فاطمة بالمدينة[١].

روايتها للحديث:

وقد تميزت رضوان الله عليها برواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، حيث روت عنه صلى الله عليه وسلم ستةً وأربعين حديثًا، وكانت امرأة صالحة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها بين الحين والآخر ويقيل في بيتها[٢].

وفاتها:

قد ذكرت بعض الروايات أن وفاتها كانت قبل الهجرة، قال ابن الأثير: وهذا الخبر غير صحيح ولم يثبت[٣]. قال ابن حجر: والصحيح أنها هاجرت وماتت بالمدينة، وبه جزم الشعبي، قال: أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة[٤].

تكريم النبى صلى الله عليه وسلم لها يوم وفاتها:

ظل النبى صلى الله عليه وسلم وفياً لها ذاكراً لمعروفها، وتجلى ذلك فيما قام به تجاهها يوم وفاتها.أخرج الطبرانى فى الكبير، قال: ثنا أَحْمَدُ بْنُ

---

(١) أسد الغابة: ٣٦٧٧/٢١٢/٧. والحديث لم أقف عليه فيما تيسر لى من مراجع، وهو ضعيف، فيه اقطاع، أبو البخترى لم يسمع من على ولم يره كما هو واضح فى الترجمة .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ١١٥٨٨/٢٦٩/٨

(٣) أسد الغابة، ٧/ ٧١٧٦/٢١٢.

(٤) الإصابة: ٢٦٩/٨.

حَمَّادِ بْنِ زُغْبَة[1] حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ صَلَاحٍ[2]، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ[3]، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:" لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْن هَاشِمٍ أُمُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا فَقَالَ:« يَرْحَمُكِ اللهُ؛ فَإِنَّكِ كُنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي، تَجُوعِينَ وَتُشْبِعِينَنِي، وَتَعْرَيْنَ وَتَكْسِينَنِي، وَتَمْنَعِينَ نَفْسَكِ طَيِّبَ الطَّعَامِ وَتُطْعِمِينَنِي، تُرِيدِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ »، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُغْسَلَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءَ الَّذِي فِيهِ الْكَافُورُ سَكَبَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ، ثُمَّ خَلَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَهُ وَأَلْبَسَهَا إِيَّاهُ، وَكَفَّنَهَا فَوْقَهُ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَأَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَغُلَامًا أَسْوَدَ يَحْفِرُونَ قَبْرَهَا، فَلَمَّا بَلَغُوا اللَّحْدَ حَفَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْرَجَ تُرَابَهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاضْطَجَعَ

---

(1) أَحْمَدُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ زُغْبَة: قال النسائي: صالح. وقال ابن يونس: كان ثقة مأمونا، وقال الذهبي: المحدث المعمر الصدوق. وقال في موضع آخر: ثقة مأمون. وقال ابن حجر: صدوق يراجع:(تهذيب التهذيب:١/٢٥/٣٦، والتقريب:١/٧٨/٢٨).

(2) رَوْحِ بْنِ صَلَاحٍ، بْن سيّابة بْن عَمْرو، أبو الْحَارِث الحارثي المَوْصِليّ، ثمّ المِصْريّ ذكره ابن حبان فى الثقات قال الدارقطنى: كان ضعيفا سكن مصر وقال ابن عدى: وأظن أنه مصرى ضعيف وقال الحاكم: ثقة مأمون. يراجع الثقات:٨/٢٤٤/١٣٢٤٠، الكامل:٤/٦٣/٦٦٧. المؤتلف والمختلف للدارقطنى:٣/١٣٧٧/ لسان الميزان:٣/٤٨٠/٣١٦٥.

(3) لم أستطع تمييز من هو، فلم يذكر فى ترجمة روح أنه روى عن سفيان ، وذكر فى ترجمة عاصم الأحول أنه روى عن سفيان الثورى، وسفيان بن عيينة وسفيان بن حبيب، فلم أتمكن من تعيين أيهم روى عنه روح ، وعلى كل فالجميع ثقات، وعاصم الأحول أيضا ثقة (تهذيب الكمال:١٣/٤٨٥/٣٠٠٨) .

فِيهِ ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، اللهم اغْفِرْ لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ، وَلَقِّنْهَا حُجَّتَهَا، وَأَوْسِعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي، فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا، وَأَدْخَلُوهَا اللَّحْدَ هُوَ وَالْعَبَّاسُ وَأَبُو بَكْرٍالصِّدِّيقُ"(١).

ـ وروى الطبرانى فى الأوسط قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْبُسْتَنْبَانِ، بِسُرَّ مَنْ رَأَى: نَا الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ الْبَجَلِيُّ، ثَنَا سَعْدَانُ بْنُ الْوَلِيدِ، بَيَّاعُ السَّابِرِيِّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ أُمُّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ خَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَهُ، وَأَلْبَسَها إِيَّاهُ، وَاضْطَجَعَ مَعَهَا فِي قَبْرِهَا، فَلَمَّا سَوَّى عَلَيْهَا التُّرَابَ، قَالَ بَعْضُهُمْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ شَيْئًا لَمْ تَصْنَعْهُ بِأَحَدٍ، فَقَالَ: «إِنِّي أَلْبَسْتُها قَمِيصِي لِتَلْبَسَ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ، وَاضْطَجَعْتُ مَعَهَا فِي قَبْرِهَا لَيُخَفَّفَ عَنْهَا مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ، إِنَّهَا كَانَتْ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيَّ صَنِيعًا بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ»(٢).

---

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير: ٨٧١/٣٥١/٢٤، وأبو نعيم فى حلية الأولياء:١٢١/٣ من طريق الطبرانى، وقال: غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ عَاصِمٍ وَالثَّوْرِيِّ، لَمْ نَكْتُبْهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ رَوْحِ بْنِ صَلَاحٍ، تَفَرَّدَ بِهِ. وبالرجوع إلى ترجمة (روح) نجد أنه وإن كان ضعفه كل من ابن عدى والدارقطنى، فقد وثق ابن حبان والحاكم، وبقية رجال الحديث ثقات. وأَحْمَدُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ زُغْبَة ثقة كما تقدم، وكل من عاصم الأحول وسفيان ثقتان، فالحديث يعتبر بهذا الإسناد يصح القبوله والعمل به، فى موضوعه.

(٢) المعجم الأوسط:٦٩٣٥/٨٦/٧ وأبو نعيم فى معرفة الصحابة:٧٧٨٢/٣٤٠٨/٦ قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبٍ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ...به بنحوه . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد: ٢٥٧/٩، وقال: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ سَعْدَانُ بْنُ الْوَلِيدِ وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ. ولم أقف له على ترجمة إلا أن الحاكم قد أخرج حديثا من طريقه وقال: سَعْدَانُ بْنُ الْوَلِيدِ الْبَجَلِيُّ كُوفِيٌّ قَلِيلُ الْحَدِيثِ وَلَمْ يُخَرِّجَا ==

فرحمة الله على السيدة فاطمة بنت أسد التي كانت بمنزلة الأم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كما كانت أمًّا للصحابي الجليل الإمام عليّ بن أبي طالب.

فنعم بها من أم، فلتنظر كل فتاة لهذا المثل وتتعلم وتتأسى وتكون أمينة مخلصة لمن قدر الله له أن يكون تحت يدها من أطفال ليسوا من أولادها كأن يقدر لها الله أن ترعى أولاد زوجها، فلتتقى الله فى رعايتهم والإحسان إليهم وتحتسب الأجر والمثوبة عند الله، فكم من نماذج فى الحياة أثبتت أن النفع والعون لتلك الأم قد يأتيها من قبل هؤلاء الأطفال الذين اعتنت بهم وأخلصت فى تربيتهم فى حين تنكر لها أبناؤها، فلا يدرى الإنسان من أين يأتيه الخير ، والأهم من ذلك حصولها على رضا ربها سبحانه وتعالى القائل فى كتابه: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا }[1] وقال تعالى: { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ }[2]. وأى عمل صالح، وأى إحسان أفضل ولا أكثر من رعاية وتربية طفل قد يكون فى أمس الحاجة إلى من يرعاه ويحنو عليه.

==

عَنْه (المستدرك:٤/١١٦/٧٠٦٩). والحديث قد جاء بروايتين من طريقين ـ طريق أنس، وطريق ابن عباس رضى الله عنهما ـ وبالظر إلى ما قاله الحاكم فى (سَعْدَانُ بْنُ الْوَلِيدِ) وكذلك فى حال رَوْحِ بْنِ صَلَاحٍ، يجد أن ضعفهما ليس شديد، فالحديث يمكن اعتباره حسنا لغيره.

[1] سورة الكهف: آية ٣٠

[2] سورة الرحمن: آية ٦٠

المبحث الثانى

الزوجة والسند

خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ

النموذج الثانى من النساء اللاتى كان لهن بصمة لا تمحى فى حياة النبى صلى الله عليه سلم، بل فى حياة الرسالة، هو عرض لسيرة أعظم إمرأة فى التاريخ، فهى تعتبر قدوة ومثل أعلى لكل إمراة مؤمنة، وتعد سيرتها مصدر هداية لمن يبتغى رضوان الله ، وينشد الخير فى الدنيا والآخرة، فقد قامت بواجبها خير قيام، رعت حق الله سبحانه وتعالى، وتحملت المسؤلية تجاه زوجها ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بل وتجاه دعوته إلى الله سبحانه، وما أعظمها من مسؤلية، فقد كان لوجودها فى تلك الفترة من حياة النبى صلى الله عليه سلم بمثابة التهيئة والإعداد والدعم للنبى صلى الله عليه وسلم، فقد تواجدت فى فترة تعد أعظم وأخطر فترة فى تاريخ الإنسانية، فترة بدء الدعوة إلى الإسلام، ومالاقاه النبى صلى الله عليه وسلم من تعنت وأذى من المشركين، فكأن فى وجودها بجوار النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الفترة بمثابة السند والمواساة والمناصرة والمؤازرة، فكانت من أعظم الداعمين للنبى صلى الله عليه وسلم فى أهم مرحلة من مراحل دعوته، يقول د محمد أبو شهبة: كان زواج الحبيب المصطفى من السيدة خديجة رضى الله عنها بتقدير الله تعالى، ولقد اختار الله سبحانه وتعالى لنبيه زوجة تناسبه وتؤازره، وتخفف عنه ما يصيبه، وتعينه على حمل تكاليف الرسالة وتعيش همومه.[١]

[١] السيرة النبوية لأبي شهبة (١/ ١٢٢، ١٢٣)

وقال الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ: وخديجة مثلٌ طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم، إن أصحاب الرسالات يحملون قلوبًا شديدة الحساسية، ويلقون غَبنا بالغًا من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهادًا كبيرًا في سبيل الخير الذي يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، وكانت خديجة رضى الله عنها سباقة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد صلى الله عليه وسلم أثر كريم[1].

وقد أعانها على ذلك ما جبلت عليه من حكمة وذكاء وفطنة، وما كانت عليه من مكانة مميزة فى مجتمعها، وما تملكه من ثروة، وكأن الله سبحانه قد أعدها وهيئها لتحمل تلك المسؤلية، فكانت على قدر ما تحملت، فقامت بواجبها تجاه الله خير قيام، فكان لها أعظم الأثر فى بداية الدعوة الإسلامية، فرضى الله عنها وجزاها عن المسلمين خير الجزاء .

نسبها:

كانت رضى الله عنها ذات نسب رفيع من أعلى بيوت قريش نسبا وحسبا، فهِيَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيّ بْنُ كِلابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لؤي بن غالب بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كنانة. وَأُمُّهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ زَائِدَةَ بْنِ الأَصَمّ بْنِ الْهَرِمِ بْنِ رَوَاحَةَ بْنِ حُجْرِ بْنِ عَبْدِ بْنِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فَهْمِ بْنِ مَالِكٍ[2].

---

[1] فقه السيرة للغزالي: ص٧٥.

[2] الطبقات الكبرى: ٨/١١/٤٠٩٦

لقبها قبل الإسلام:

كانت تدعى فِي الجاهلية الطاهرة [١].

فقد كانت العفة والطهارة، أهم ما يبرز من ملامح شخصية السيدة خديجة –رضي الله عنها؛ لذلك كانت تُلَقَّب في الجاهليَّة بـ "الطَّاهرة" وذلك في ظل مجتمعٍ مليءٍ بالفواحش والبغي، وفى ذلك دلالة واضحة على أنها بلغت مبلغاً كبيرا من العفَّة والطَّهارة حتى لُقِّبت بهذا اللَّقب تماماً كما كان لقب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم "الصَّادق الأمين" في ذات البيئة التي قلَّما تجد فيها رجلاً متحلياً بمثل هذه الصفات.

ميلادها:

كانت رضى الله عنها تكبر النبى صلى الله عليه وسلم بخمس عشرة سنة، وكان مولدها سنة ثمان وستين قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم[٢].

سُؤِلْ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ رضى الله عنه، أَيُّهُمَا كَانَ أَسَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ خَدِيجَةُ. فَقَالَ: كَانَتْ خَدِيجَةُ أَسَنَّ مِنْهُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً. لَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَى عَمَّتِي الصَّلاةُ قَبْلَ أَنْ يُولَدَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَوْلُ حَكِيمٍ حُرِّمَتِ عليها الصلاة يعني حاضت[٣].

---

[١] الاستيعاب: ١٨١٧/٤

[٢] أسد الغابة: ٦٨٧٤/٨٠/٧.

[٣] الطبقات الكبرى: ١٢/٨

سبب زوجها من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كانت خديجة رضى الله عنها تاجرة، شأنها شأن كافة التجار، أهم ما يزكى الإنسان لديهم هو الأمانة والصدق وحسن السيرة، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم أكمل الناس فى الصدق والأمانة وحسن الصحبة، ومُنِحَ من الله سبحانه وتعالى الحكمة والقبول، فأحبه واحترمه وعظمه كل من رآه وتعامل معه، فأى شخص تحرص خديجة رضى الله عنهاعلى قربه منها والاعتماد عليه أفضل منه صلى الله عليه وسلم، فلما سمعت بأمانته، وصدقه، وشهامته، وعقله، واتسامه بأنه خير فتيان قريش أرسلت إليه، وعرضت عليه الخروج فى تجارتها إلى الشام، وزاد من تقديرها له ما بلغها عنه أثناء الرحلة، فأرادت أن تكون علاقته بها أعمق وأقوى من مباشرة التجارة، فعرضت عليه صلى الله عليه وسلم الزواج منها.

يروى ابْنُ إِسْحَاقَ فى السير قَالَ: وَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امْرَأَةً تَاجِرَةً ذَاتَ شَرَفٍ وَمَالٍ.تَسْتَأْجِرُ الرِّجَالَ فِي مَالِهَا وَتُضَارِبُهُمْ[1]إِيَّاهُ، بِشَيْءٍ تَجْعَلُهُ لَهُمْ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَوْمًا تُجَّارًا، فَلَمَّا بَلَغَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَلَغَهَا، مِنْ صَدْقِ حَدِيثِهِ، وَعِظَمِ أَمَانَتِهِ، وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ، بَعَثَتْ إِلَيْهِ فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ فِي مَالٍ لَهَا إِلَى الشَّامِ تَاجِرًا، وَتُعْطِيهِ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ مِنْ التُّجَّارِ، مَعَ غُلَامٍ لَهَا يُقَالُ لَهُ مَيْسَرَةَ، فَقَبِلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا، وَخَرَجَ فِي مَالِهَا ذَلِكَ، وَخَرَجَ مَعَهُ غُلَامُهَا مَيْسَرَةُ حَتَّى قَدِمَ الشَّامَ. فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْ صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ

---

[1] المُضَارَبَة: أَنْ تُعْطِي مَالًا لِغَيْرِكَ يَتَّجِر فِيهِ فَيَكُونُ لَهُ سهمٌ معلومٌ مِنَ الرِّبح، وَهِيَ مُفَاعَلة مِنَ الضَّرْب فِي الْأَرْضِ والسَّير فِيهَا لِلتِّجَارَةِ. (النهاية:٣/٧٩)

مِنْ الرُّهْبَانِ، فَاطَّلَعَ الرَّاهِبُ إِلَى مَيْسَرَةَ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ؟ قَالَ لَهُ مَيْسَرَةُ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ قَطُّ إِلَّا نَبِيٌّ.

ثُمَّ بَاعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِلْعَتَهُ الَّتِي خَرَجَ بِهَا، وَاشْتَرَى مَا أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ، ثُمَّ أَقْبَلَ قَافِلًا إِلَى مَكَّةَ وَمَعَهُ مَيْسَرَةُ. فَكَانَ مَيْسَرَةُ- فِيمَا يَزْعُمُونَ- إِذَا كَانَتْ الْهَاجِرَةُ وَاشْتَدَّ الْحُرُّ، يَرَى مَلَكَيْنِ يُظِلَّانِهِ مِنْ الشَّمْسِ- وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى بَعِيرِهِ. فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ عَلَى خَدِيجَةَ بِمَالِهَا، بَاعَتْ مَا جَاءَ بِهِ، فَأَضْعَفَ أَوْ قَرِيبًا .

وَحَدَّثَهَا مَيْسَرَةُ عَنْ قَوْلِ الرَّاهِبِ، وَعَمَّا كَانَ يَرَى مِنْ إِظْلَالِ الْمَلَكَيْنِ إِيَّاهُ.

وَكَانَتْ خَدِيجَةُ امْرَأَةً حَازِمَةً شَرِيفَةً لَبِيبَةً، مَعَ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَا مِنْ كَرَامَتِهِ، فَلَمَّا أَخْبَرَهَا مَيْسَرَةُ بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ بَعَثَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ لَهُ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - يَا بن عَمّ. إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِيكَ لِقَرَابَتِكَ، وَسِطَتِكَ [1] فِي قَوْمِكَ وَأَمَانَتِكَ وَحُسْنِ خُلُقِكَ، وَصِدْقِ حَدِيثِكَ، ثُمَّ عَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا.

---

[1] سِطَةٌ : قال ابن الأثير: فِي حَدِيثِ صَلَاةِ الْعِيدِ « فَقَامَتِ امرأةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ» أَيْ مِنْ أَوْسَاطِهِنّ حَسبا ونَسَبا. وأصلُ الكلمة الْوَاوُ وَهُوَ بابُها، والهاءُ فِيهَا عِوضٌ مِنَ الواوِ كعِدَة وزِنَة، مِنَ الوعْد والوَزْن. (النهاية :٣٦٦/٢). يقال: فُلَانٌ وسِيطٌ فِي قَوْمِهِ إذا كَانَ أَوسطَهم نسَباً وأَرْفعَهم مَجْدا قَالَ الزَّجَّاجُ: فِيهِ قَوْلَانِ: قَالَ بَعْضُهُمْ وسَطاً عَدْلًا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ خِياراً، وَاللَّفْظَانِ مُخْتَلِفَانِ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ لأَن العَدْل خَيْر وَالْخَيْرُ عَدْلٌ، وَقِيلَ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنه كَانَ مِنْ أَوْسَطِ قومِه أَي خِيارِهم، تَصِف الفاضِلَ النسَب بأَنه مِنْ أَوْسَطِ قَوْمِه وَكَذَلِكَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ خَيْرِ مَكَانٍ فِي نسَب الْعَرَبِ، وَكَذَلِكَ جُعِلتْ أُمّته أُمة وسَطاً أَي خِياراً. (لسان العرب:٤٣١/٧، ٤٣٠).

وَكَانَتْ خَدِيجَةُ يَوْمئِذٍ أَوْسَطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وَأَعْظَمَهُنَّ شَرَفًا، وَأَكْثَرَهُنَّ مَالًا، كُلُّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ مِنْهَا لَوْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ([1]).

زَوَاجُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَدِيجَةَ :

فَلَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر ذَلِك لأعِمَامَة فَخَرَجَ مَعَهُ عَمُّهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ، فَخَطَبَهَا إِلَيْهِ، فَتَزَوَّجَهَا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِشْرِينَ بَكْرَةً[2]، وَكَانَتْ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا غَيْرَهَا حَتَّى مَاتَتْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[3].

سنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْد تزَوجه مِنْ خَدِيجَةَ :

أُخْتلف فى سنه صلى الله عليه وسلم حين تزوج السيدة خديجة رضى الله عنها.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ، فِيمَا حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الْمَدَنِيِّ[4]. وَقيل كَانَ سنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

([1]) السير والمغازى لابن اسحاق:٨١/١.

[2] البَكْر بِالْفَتْحِ: الفَتِيُّ مِنَ الْإِبِلِ، بِمَنْزِلَةِ الْغُلَامِ مِنَ النَّاسِ. وَالْأُنْثَى بَكْرَة . (النهاية: ١٤٩/١).

[3] السيرة النبوية لابن هشام:١٨٩،١٩٠/١، السير والمغازى لابن اسحاق:٨١/١.

[4] السيرة النبوية لابن هشام:١٨٧/١.

وَسَلَّم إذ تزوج خديجة ابْن إحدى وعشرين سنة، وقيل ابْن ثلاثين سنة. قاله ابن عبد البر، ورجح قول من قال أن سنه صلى الله عليه وسلم كان خمس وعشرون، قال: وكانت إذ تزوجها رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنت أربعين سنة، فأقامت معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعًا وعشرين سنة، وتوفيت وهي بنت أربع وستين سنة وستة أشهر[١]

وقوفها بجانب النبى صلى الله عليه وسلم وبيان حكمتها عند بدء الوحى:

كان موقف خديجة رضي الله عنها من خبر الوحي يدل على سعة إدراكها، حيث قارنت بين ما سمعت منه ـ حينما أخبرها بماحدث له عند نزول الوحى عليه ـ، وواقع النبي صلى الله عليه وسلم, فأدركت أن من جُبِل على مكارم الأخلاق لا يخزيه الله أبدًا، فقد وصفته بأنه يصل الرحم، وكون الإنسان يصل أقاربه دليل على استعداده النفسي لبذل الخير والإحسان إلى الناس، فإن أقارب الإنسان هم المرآة الأولى لكشف أخلاقه، فإن نجح في احتواء أقاربه, وكسبهم بما له عليهم من معروف كان طبيعيا بأن ينجح في كسب غيرهم من الناس.

كانت أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها قد سارعت بإيمانها الفطري، وبمعرفتها بسنن الله تعالى في خلقه، وبيقينها بما يملك محمد صلى الله عليه وسلم من رصيد الأخلاق، وفضائل الشمائل، التى ليس لأحد من البشر رصيد مثله في حياته الطبيعية التي يعيش بها مع الناس، وإلى ما ألهمت بسوابق العناية الربانية التي شهدت آياتها من حفاوة الله تعالى بمحمد

[١] الاستيعاب: ١٨١٨/٤، ويراجع أسد الغابة: ٨٠/٧

صلى الله عليه وسلم في مواقف عدة، فكانت موقنة بأن زوجها فيه من خصال الجبلة الكمالية ومحاسن الأخلاق الرصينة، وفضائل الشيم المرضية، وأشرف الشمائل العلية، وأكمل الصفات الإنسانية ما يضمن له الفوز، ويحقق له النجاح والفلاح، فقد استدلت بكلماتها العميقة على الكمال المحمدي، فقد استنبطت خديجة رضي الله عنها من اتصاف محمد صلى الله عليه وسلم بتلك الصفات على أنه لن يتعرض في حياته للخزي قط؛ لأن الله تعالى فطره على مكارم الأخلاق، وضربت المثل بما ذكرته من أصولها الجامعة لكمالاتها.

فلم تعرف الحياة في سنن الكون الاجتماعية أن الله تعالى جمَّل أحدًا من عباده بفطرة الأخلاق الكريمة، ثم أذاقه الخزي في حياته، ومحمد صلى الله عليه وسلم بلغ من المكارم ذروتها، فطرة فطره الله عليها، لا تُطاول ولا تُسامى. وكان موقف خديجة رضي الله عنها يدل على قوة قلبها، حيث لم تفزع من سماع هذا الخبر، واستقبلت الأمر بهدوء وسكينة، فلم تكتفِ رضي الله عنها بمكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم دليلاً على نبوته، بل ذهبت إلى ابن عمها العالم الجليل ورقة بن نوفل رحمه الله الذي كان ينتظر ظهور نبي آخر الزمان، لما عرفه من علماء أهل الكتاب، على دنو زمانه، واقتراب مبعثه، وكان لحديث ورقة أثر طيب في تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وتقوية قلبه، حيث أخبر ورقة النبى صلى الله عليه وسلم بأن الذي خاطبه هو صاحب السر الأعظم الذي يكون سفيرا بين الله تعالى وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام[1].

---

[1] السِّيرةُ النّبوية – عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث:صـ٨٠،٨١

وقصة بدء نزول الوحى وموقف خديجة رضى الله عنها مع النبى صلى الله عليه وسلم أخرجها البخارى : عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رضى الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ ـ وَهُوَ التَّعَبُّدُ ـ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ}[1] " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ

---

[1] سورة العلق: الآيات ١ـ٣ .

لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ"[1]

مكانتها وفضلها:

كان لخديجة رضى الله عنها مكانة مميزة فى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل وفى قلوب المسلمين بجميع طوائفهم، استحقت ذلك جزاء ما بذلته فى سبيل الله ، وما قدمته من دعم للنبى صلى الله عليه وسلم منذ زواجها منه صلى الله عليه وسلم، فقد كانت مستشعرة ما ينتظره من مستقبل عظيم، خاصةً بعدما أخبرها غلامها ميسرة بما شاهده فى رحلته مع النبى صلى الله عليه وسلم، فلم تدخر جهدا فى سبيل توفير كل السبل وتهيئة الظروف التى تعينه فى تلك الفترة المهمة فى حياته، فكانت توفر له مؤنته عندما كان يذهب ليتعبد فى غار حراء، واستمرت فى دعمها ومساندتها له صلى الله عليه وسلم فى أحرج مراحل الدعوة إلى أن انتقلت إلى جوار ربها سبحانه وتعالى، فاستحقت بين نساء العالمين أعلى مكانة، ولم يكن ذلك عليها بجديد، فقد كانت ذات شرف ومكانة فى قومها قبل زواجها بالنبى صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها فقد كانت حازمة لبيبة شريفة، رفيعة

[1] أخرجه البخارى فى: كتاب بدء الوحى،باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟: ٣/٨/١

النسب من أعلى بيوت قريش حسبا ونسبا، لقبت فى الجاهلية بالطاهرة، ثم ازدادت شرفا بزواجها من النبى صلى الله عليه وسلم، وذلك مصداقا لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقِهُوا »[1] فهى كريمة عظيمة شريفة عفيفة فى الجاهلية ، استحقت هذا التكريم بين قومها لما كانت تتمتع به من العزة والترفع، والكرم ومعاونة المحتاج، كانت تنفق على الجميع من خيرها وبرها حتى أحبها قومها وبجلوها وعظموها، ولقبوها بسيدة نساء قريش.

وهى وإن كانت لقبت فى الجاهلية بسيدة نساء قريش، فقد لقبت فى الإسلام بسيدة نساء العالمين، ثبت في السنة الصحيحة أنها خير نساء زمانها على الإطلاق. عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ» قَالَ: أَبُو كُرَيْبٍ، وَأَشَارَ وَكِيعٌ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ[2]

---

[1] أخرجه البخارى: فى كتاب التفيير، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى...الآية} [الحجرات: ١٣] :٣٤٩٣/١٧٨/٤ ، ومسلم فى: كتاب فضائل الصحابة، بَابُ بَابُ خِيَارِ النَّاسِ :١٩٩/١٩٥٨/٤

[2] أخرجه مسلم: فى كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها: ١٨٨٦/٤/ ٦٩. قال محمد فؤاد عبد الباقى: (وأشار وكيع) أراد وكيع بهذه الإشارة تفسير الضمير في نسائها وأن المراد جميع نساء الأرض أي كل من بين السماء والأرض من النساء، والأظهر أن معناه أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها، والترمذى فى: أبواب المناقب، باب فضل خديجة:٣٨٧٧/٧٠٢/٥ . وقال: هذا حديث حسن صحيح

وعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ العَالَمِينَ: مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ »[1]

وعلاوة على ذلك فقد كان لها مكانة خاصة عند النبى صلى الله عليه وسلم.

فضل خديجة ومنزلتها في حياة النبي صلّى الله عليه وسلم:

كانت منزلت خديجة رضى الله عنها عند النبى صلى الله عليه وسلم لا تدانيها منزلة، تلك الزوجة المخلصة الحنون، التي انفردت بقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ربع قرن من الزمان لم تشاركها فيه أخرى ، فقد بلغ من شدة حبه وتقديره لها بل وتقدير رب العزة سبحانه وتعالى لها وحفاظا على مكانتها لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يتزوج غيرها طوال حياته معها رضى الله عنها. فهو قد تزوج خديجة وهو في الخامسة والعشرين من عمره، وهو في شرخ الصّبا وريعان الفتوة، ووسامة الطلعة ، وجمال القسمات، وكمال الرجولية. مع ذلك ظلّت خديجة وحدها زوجته صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرين سنة حتى تخطّى الخمسين، هذا على حين كان تعدد الزوجات أمرا شائعا بين العرب في ذلك العهد. وعلى حين كان لمحمد مندوحة في التزوّج على خديجة، أن لم يعش له منها ذكر، في وقت كانت توأد فيه البنات، وكان الذكور وحدهم هم الذين يعتبرون خلفا. وقد ظل محمد صلى الله عليه وسلم مع خديجة رضى الله عنها سبع عشرة سنة قبل بعثه

---

[1] أخرجه الترمذى فى: أبواب المناقب، بَابُ فَضْلِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:٥/٧٠٣/٣٨٧٨ ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ

وإحدى عشرة سنة بعده وهو لا يفكر قط في أن يشرك معها غيرها في فراشه[١].

قَالَ أَبُو عُمَرَ: لا يختلفون أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتزوج فِي الجاهلية غير خديجة، ولا تزوج عليها أحدًا من نسائه حَتَّى ماتت[٢].

وعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها، قَالَتْ: « لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ»[٣].

ولم تصل إمراة إلى مكانتها عنده صلى الله عليه وسلم حتى عائشة رضى الله عنها، وقد ظل الرسول صلى الله عليه وسلم طيلة حياته يذكر فضل خديجة، ويترحم عليها، ويبر صديقاتها، حتى كانت عائشة رضى الله عنها تغار منها ـ وهي متوفاة ـ لكثرة ما كانت تسمع من ثناء النبي صلى الله عليه وسلم عليها، وهو ما بينته نصوص السنة.

روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنه، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى

---

[١] حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لمحمد حسين هيكل: صـ٢٠٥

[٢] الاستيعاب: ١٨١٩/٤

[٣] أخرجه مسلم فى: فى كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها ٧٧/١٨٨٩/٤

أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ» قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»[1].

وعَنْها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ «إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»[2].

وعَنْها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: « مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي، لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِي فِي خَلاَئِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ»[3]. وعَنْها عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، أُخْتُ خَدِيجَةَ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةَ». قَالَتْ: فَغِرْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ، هَلَكَتْ

---

[1] أخرجه مسلم فى: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضى الله عنه:٤/١٨٨٨/٧٦ .

[2] أخرجه البخارى فى: كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبى صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها:٥/٣٨،٣٩/٣٨١٨.

[3] أخرجه أيضا البخارى فى نفس الكتاب والباب اسابقين ح ٣٨١٦. وأخرجه أخرجه الترمذى فى : أبواب المناقب، باب بَابُ فَضْلِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ٥/٧٠٢/٣٧٧٦. وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، مِنْ قَصَبٍ قَالَ: إِنَّمَا يَعْنِي بِهِ قَصَبَ اللُّؤْلُؤِ

فِي الدَّهْرِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا»[١]، فبان من هذه الرواية أنه لما سمع صلى الله عليه وسلم صوت هالة رضى الله عنها، عرف استئذان خديجة، أي صفة استئذان خديجة لشبه صوتها بصوت أختها فتذكر خديجة بذلك فارتاح لذلك أي هش لمجيئها وسر بها لتذكره بها خديجة وأيامها.

و هذا كله دليل لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته وإكرام أهل ذلك الصاحب، وفى قول عائشة رضى الله عنها: (عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين) معناه عجوز كبيرة جدا حتى قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق لشدقها بياض شئ من الأسنان إنما بقي فيه حمرة لثاتها. وفى تصرف عائشة ذلك تظهر شدة الغيرة ـ وقد اعترفت هى بذلك ـ، فهل يصح حدوث مثل ذلك من عائشة رضى الله عنها، وهو ما وضحه كل من القاضى عياض والنووى. قال القاضي: وعندي أن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها وأول شبيبتها ولعلها لم تكن بلغت حينئذ. وقال النووى: أن الغيرة مسامح للنساء فيها لا عقوبة عليهن فيها لما جبلن عليه من ذلك، ولهذا لم تُزجر عائشة عنها. [٢].

---

[١] أخرجه البخارى فى: كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبى صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنه: ٣٨٢١/٣٩/٥. وأخرجه مسلم فى: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضى الله عنه :٧٨/١٨٨٩/٤، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها:٧٦/١٨٨٨/٤ ، واخرجه أحمد: ٢٤٨٦٤/٣٥٦/٤١ بنحوه، زاد فى آخره: (قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاء)

[٢] يراجع إكمال المعلم بفوائد مسلم:٤٤٤/٧ ، وشرح النووى على مسلم:٢٠٢/١٥.

قصة فداء أبى العاص بن الربيع وقلادة خديجة رضى الله عنهما:

ـ ومما يدل على شدة تعلقه بها صلى الله عليه وسلم ما جاء فى قصة فداء أبى العاص بن الربيع، وقلادة خديجة رضى الله عنها: روى ابن كثير فى البداية والنهاية نقلا عن ابن إسحاق قال: وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد، وكانت خديجة هي التي سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه بابنتها زينب وكان لا يخالفها ـ وذلك قبل الوحي ـ، وكان عليه السلام قد زوج ابنته رقية – أو أم كلثوم من عتبة بن أبي لهب، فلما جاء الوحي قال أبو لهب: اشغلوا محمدا بنفسه، وأمر ابنه عتبة، فطلق ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الدخول، فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومشوا إلى أبي العاص، فقالوا فارق صاحبتك ونحن نزوجك بأي امرأة من قريش شئت، قال: لا والله إذا لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بامرأتي إمرأة من قريش،. ثم بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، خرج أبو العاص ضد المسلمين في غزوة بدر سنة 2 هـ مع قريش محاربًا، وبقيت زوجته زينب في مكة، ومع انتهاء الغزوة لصالح المسلمين، وقع أبو العاص أسيرًا بأيدي المسلمين، وكان الذي أسره اسمه خِرَاش بن الصِّمَّة. فلما أرسل أهل مكة الأموال في فداء أسراهم، أرسلت زينب في فدائه بقلادة كانت لها من أمّها خديجة بنت خويلد، فتأثر صلى الله عليه وسلم لذلك، ورقَّ لَهَا رقَّة شَدِيدَةً،

وَقَالَ لأصحابه الذين أسروه : " إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا فَافْعَلُوا "[١] .

روت عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ: « لَمَّا جَاءَتْ أَهْلَ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أُسَرَاهُمْ، بَعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ، وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ كَانَتْ خَدِيجَةُ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ حِينَ بَنِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا فَافْعَلُوا» ، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَرُدُّوا عَلَيْهِ الَّذِي لَهَا[٢]

مكانتها عند ربها جل وعلا:

قدمت خديجة رضى الله عنها ما لم تقدمه إمرة فى تاريخ البشرية لزوجها، دعما له فى مسيرته ، ووقوفا بجانبه للقيام برسالته، ولما كانت مسيرة محمد صلى الله عليه وسلم هامة ورسالته سامية، فقد عظم عطاؤها وسما ليتناسب والهدف الذى من أجله بُذل، ولما كان الله يجازى المحسنين الإحسان وزيادة فقد أجزل لها العطاء، فأعد لها فى جنته بيتا يتناسب وصنيعها وهديها وسمتها، فلما حرصت على أن يكون بيتها واحة من الهدوء والسكينة، وملأته مودة ورحمة، أكرمها ربها ببيت شبيه بالبيت الذى أقامته للنبى صلى الله عليه وسلم.

---

[١] يراجع السيرة النبوية لابن هشام:١/٦٥٣،٦٥٢ ، والبداية والنهاية:٣/٣٨٠،٣٨٩

[٢] أخرجه الحاكم فى: كتاب معرفة الصحابة ، باب ذِكْرُ إِسْلَامِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاخْتِلَافُ الرِّوَايَاتِ فِي وَقْتِ إِسْلَامِهِ: ٣/٣٦٦/٥٤٠٩، وقال: على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

عَنْ أبى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه، قَالَ:« أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ[1]، لَا صَخَبَ[2] فِيهِ وَلَا نَصَبَ[3]»[4].

خديجة وحدها التي أعقبت:

كان مما حباها الله سبحانه وتعالى به أن جعلها مصدر سعادة النبى صلى الله عليه وسلم وأم أابنائه، فقد ولدت له أبناءه كلهم إلا إبراهيم، وقد كانت هذه ميزة خصها الله بها لتزداد مكانتها عند النبى صلى الله عليه وسلم. قال ابن عبد البر: "ولم يختلفوا أنه ولد له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها ولده كلهم حاشا إِبْرَاهِيم". وأجمعوا أنها ولدت له أربع بنات كلهن أدركن الإسلام، وهاجرن، فهن: زينب، وفاطمة، ورقية، وأم كلثوم. وأجمعوا أنها ولدت له ابنا يسمى القاسم، وبه كَانَ يكنى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَذَا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم. وَقَالَ معمر، عَنِ ابْن شهاب: زعم بعض العلماء أنها ولدت له ولدًا يسمى الطاهر. وَقَالَ بعضهم: مَا نعلمها ولدت له إلا القاسم، وولدت له بناته الأربع. وقال معمر عن: ابن ابْن شهاب: ولدت له خديجة: فاطمة، وزينب، وأم كلثوم، ورقية، والقاسم، والطاهر. وكانت زينب

---

[1] قال ابن الأثير: القَصَب فِي هَذَا الْحَدِيثِ: لُؤْلُؤٌ مُجَوَّف وَاسِعٌ كالقَصْر المُنِيف. والقَصَب مِنَ الجَوْهر: مَا اسْتَطال مِنْهُ فِي تَجْويف.(النهاية:٤/٦٧).

[2] الصَّخَب والسَّخَب: الضَّجَّة، واضطرابُ الأصواتِ للخِصَام. (المرجع السابق:٣/١٤).

[3] النَّصَبُ: التَّعَبُ. (المرجع السابق: ٥/٦٢).

[4] أخرجه مسلم فى: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضى الله عنه:٤/١٨٨٧/٧١

أكبر بنات النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَالَ قتادة: ولدت له خديجة غلامين وأربع بنات: القاسم وبه كَانَ يكنى، وعاش حَتَّى مشى. وعَبْد اللَّهِ مات صغيرًا. ومن النساء: فاطمة، وزينب، ورقية، وأم كلثوم وَقَالَ الزُّبَيْر: ولد لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: القاسم، وَهُوَ أكبر ولده، ثم زينب، ثم عَبْد اللَّهِ، وَكَانَ يقال له الطيب، ويقال له الطاهر، لأنه ولد بعد النبوة. ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية، هكذا الأول فالأول، ثم مات القاسم بمكة، وَهُوَ أول ميت مات من ولده، ثم مات عَبْد الله أيضا بمكة.[1]

وفاتها:

تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلاثِ سِنِينَ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

قال ابن سعد:أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ. حَدَّثَنِي مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلاةُ. وَذَلِكَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلاثِ سِنِينَ.

عَنْ أَبِي حَبِيبَةَ مَوْلَى الزُّبَيْرِ قَالَ: سَمِعْتُ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ يَقُولُ: تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ النُّبُوَّةِ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

فخرجنا بِهَا مِنْ مَنْزِلِهَا حَتَّى دَفَنَّاهَا بِالْحَجُونِ. وَنَزَلَ رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي حُفْرَتِهَا. وَلَمْ تَكُنْ يَوْمَئِذٍ سُنَّةُ الْجِنَازَةِ الصَّلاةَ عَلَيْهَا.

---

[1] الاستيعاب:٤/١٨١٨،١٨١٧ .

قِيلَ: وَمَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا خَالِدٍ؟ قَالَ: قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَوَاتٍ ثَلاثٍ أَوْ نَحْوِهَا وَبَعْدَ خُرُوجِ بَنِي هَاشِمٍ مِنَ الشِّعْبِ بِيَسِيرٍ.[1].

وقد تزامن وفاتها مع وفاة أبى طالب عم النبى ، فتوالت عليه صلى الله عليه وسلم الأحزان

قال ابن جماعة: وَمَاتَتْ خَدِيجَة بمكةَ لعشرٍ خَلت من شهر رَمَضَان قبل الْهِجْرَة بِثَلَاث سِنِين على الأصحّ. وَقيل: بِخمْس سِنِين، وَقيل: بأربعٍ، بعد وَفَاة أبي طَالب بِثَلَاثَة أَيَّام. وَقيل: مَاتَت فِي حَيَاة أبي طَالب. وَالْمَشْهُور أَنَّهَا مَاتَت بعده. ودُفِنت بالحَجُون[2]

وقال ابن الملقن: وَمَاتَتْ خَدِيجَة بعد عشر سِنِين من المبعث وَكَذَا عَمه أَبُو طَالب[3]

وقفة مع سيرتها رضى الله عنها:

فى سيرة خديجة رضى الله عنها، وفيما قدمته للدعوة وهى فى مهدها ما يظل فى ذاكرة التاريخ مصدر للإلهام لبناتنا وأمهاتنا، فقد دعمت النبى صلى الله عليه وسلم ماديا ومعنوياً، فمن جهة المال فقد كان صلى الله عليه وسلم ينفق من مالها بحرّية، في سبيل الله، ولم تعترض هي قط على إنفاقه ثروتها فى سبيل الدعوة، والأعظم من الدعم المادى هو دعمها له حينما نزل عليه

---

(1) الطبقات الكبرى :٨/١٤،١٥/٤٠٩٦

(2) المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم: صـ٩١

والحَجُون: الجَبَل المُشْرِف مِمَّا يَلِي شِعْبَ الجَزَّارِينَ بِمَكَّةَ. وَقِيلَ: هُوَ مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ فِيهِ اعْوِجَاجٌ. وَالْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ، وَهُوَ بِفَتْحِ الْحَاءِ.(النهاية:١/٣٤٨).

(3) غاية السول في سيرة الرسول: صـ٣٣

الوحى وهو من الأمور التى كانت من أصعب ما مر على النبى صلى الله عليه وسلم فى حياته، فقد كان حينها فى أمس الحاجة إلى من يسانده فى تلك المرحلة شديدة الحساسية والخطورة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم. فحين هبط عليه الوحي ناء الرسول تحت عبء المسؤولية الثقيلة، وتهيّب النهوض بالمهمة التى كُلّف أداءها. في تلك اللحظة بالذات طيّبت نفسه المكروبة بهذه الكلمات المشجعة: « أبشر يا ابن عمّ واثبت، فو الذي نفس خديجة بيده إني لأرجو ان تكون نبيّ هذه الأمة، ووالله لا يخزيك الله أبدا. إنك لتصل الرّحم، وتصدق الحديث ، وتحمل الكلّ[١]، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». وهذا يظهر إلى أي مدى تأثرت خديجة بأخلاق الرسول وعطفه الانسانيّ. وهو منبعث من الحب العميق بين الزوج وزوجه. فليس في استطاعة امرئ ان يكون أكثر اطّلاعا على عادات رجل ما من زوجته، التي تكون في مركز يمكّنها من النفاذ في حرية إلى أعمق أعماق قلبه. واذن فكون خديجة قد آمنت هذا الإيمان الثابت الذي لا يتزعزع فهذا يعد دليلا لا يحتمل الجدل على كمال خلقه. واشدّ النقاد عداوة لا يجرؤ، أمام هذا الدليل، على الارتياب في صدق الرسول واخلاصه، ذلك بأن الدجال أعجز من ان يوفق إلى انتزاع كامل الولاء والاحترام القلبيين من مخلوقة مطّلعة على أسراره هذا الاطّلاع كله. فإن شهادة خديجة رضى الله عنهاعلى سموّ خلق الرسول أعظم دليل من غير ريب[٢].

ففى سيرتها رضى الله عنها من الدروس والعبر ما يستوجب التوقف للتعلم والتأسى فالزوجة الصالحة المؤمنة بدعوة الحق تذلل كثيرا من

---

(١) الكَلَّ هُوَ بِالْفَتْحِ: الثِّقَل مِن كُلِّ مَا يُتَكلَّف. والكَلُّ: العِيال.(النهاية:٤/١٩٤).

(٢) حياة محمد ورسالته: صـ٦٢،٦٣ بتصرف.

الصعاب لزوجها ـ إذا كان صاحب رسالة أو لديه قضية ـ إذا شاركته في همومه وآلامه، وبذلك تخفف عنه عبء هذه الهموم، وتبث في نفسه الاستمرار والثبات، فيكون لها أثر في نجاح الدعوة وانتصارها، وموقف السيدة خديجة رضي الله عنها من رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى لما تستطيع الزوجة المؤمنة بدعوة الخير أن تلعبه في نجاح زوجها، وثباته واستمراره في دعوته[1].

[1] السيرة دروس وعبرً :صـ٥٦ بتصرف.

المبحث الثالث

محبوبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وراوية السنة

عائشة رضى الله عنها

الحديث عن ام الؤمنين عائشة رضى الله عنها حديث له طابع خاص، فالحديث عنها لابد وأن يكون مميزاً، فهو عرض لسيرة شخصية متفردة متميزة ، أثرت فى حياة الأمة فضلا عن حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد ملأت حياة النبى صلى الله عليه محبة وبهجة، وعوضته عما كانت تأسو به خديجة رضى الله عنه جراحه، ولم يقتصر دورها في بيت النبوة على الدور الأسري ورعاية الزوج، ولكن كان لها دور علمى عظيم، فقد روت لنا جملة من التشريعات التي حوت أدق تفاصيل حياته صلى الله عليه وسلم، فهى أفقه أزواجه على الإطلاق وفى سيرتها كثير من المواقف التى ينطوى كل موقف منها على قدوة وعبرة، نعرض جانبا من تلك المواقف ليكون لبناتنا قدوة ومثل يحتذى به .

نسبها:

هى: عَائِشَةُ بِنْتُ أبي بَكْرٍ الصِّدّيقِ بْنِ أبي قُحَافَةَ بْن عَامِرِ بْن عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بن مرة بن كعب بن لؤي. وَأُمُّهَا هِيَ أُمُّ رُوْمَانَ بِنْتُ عَامِرِ بنِ عُوَيْمِرِ بن عبد شمس بن عتاب ابن أُذَيْنَةَ الكِنَانِيَّة [١].

تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، ولم يتزوج بكرا غيرها، وهي بنت ست سنين، ودخل بها بالمدينة، وهي بنت تسع سنين، بعد سبعة أشهر

[١] طبقات ابن سعد ٨/ ٤١٢٨/٤٦ ، وسير أعلام النبلاء: ١١٥/٤٢٦/٣.

من مقدمه المدينة، وقبض وهي بنت ثمان عشرة سنة، وبقيت إلى خلافة معاوية، وتوفيت سنة ثمان، وقيل: سبع وخمسين، وقد قاربت السبعين، وأوصت أن تدفن بالبقيع، وكان وصيها: عبد الله بن الزبير بن العوام، كناها النبي صلى الله عليه وسلم أم عبد الله بابن أختها عبد الله بن الزبير [1].

زواجها من النبى صلى الله عليه وسلم:

كان زواج النبى صلى الله عليه وسلم منها فى مرحلة صعبة من مراحل حياته صلى الله عليه وسلم، فقد توفت خديجة رضى الله عنها ففقد بفقدها السند والملاذ، وفقد أيضا عمه أبا طالب، وفقد بموته الظهر والحماية، فازدادت قريش فى التعنت معه وإيقاع الأذى به وبأصحابه صلى الله عليه وسلم، فلما زادت إساءات قريش للنبى صلى الله عليه وسلم، وضاق بهم ذرعا فكر صلى الله عليه وسلم فى الخروج بالدعوة إلى خارج مكة لعله يجد المواساة والنصرة ، فبدأ النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل، فخرج إلى الطائف وحيدا منفردا لا يعلم بأمره أحد، يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه، ويرجو إسلامهم، لكنه رجع منهم بشرّ جواب. فلم يسمعوا له بل أغروا به سفهاءهم يسبونه ويصيحون به. وعرفت قريش الأمر فازدادت له إيذاء أيضا، فلم يصرفه ذلك عن الدعوة إلى دين الله. وجعل يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب يدعوهم إلى الحق، ولم يكتف صلى الله عليه وسلم بعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج بمكة، بل ذهب إلى كثير من القبائل في منازلهم، ، فلم يسمع منهم أحد، وردّوه جميعا ردّا غير جميل، بل وأصرت هذه القبائل على عناد النبى صلى

[1] معرفة الصحاب لابن منده: ٩٣٩/١

الله عليه وسلم، ، وفى ظل هذه الظروف الشديدة الصعوبة التى يمر بها صلى الله عليه وسلم. فكر صلى الله عليه وسلم في أن يتزوّج؛ لعلّه يجد في زواجه ما كانت خديجة تأسو به جراحه. كما أنه رأى أن يزيد الأوصار بينه وبين السابقين إلى الإسلام متانة وقربى، فخطب إلى أبي بكر ابنته عائشة[١].

وكان جبريل عليه السلام قد عرض على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صورتها في سرقة حرير في المنام، لما توفيت خديجة[٢].

فَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ[٣]، فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، يُمْضِهِ "[٤]

فتزوجها رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة قبل الهجرة بسنتين. وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين، وهي بنت ست سنين، وقيل: بنت سبع، وابتني بها بالمدينة، وهي ابنة تسع،

نقل ابن عبد البر عن الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ أُسَامَةَ بن حَفْصٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ– أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ

---

[١] يراجع حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم:صـ١٢٨

[٢] أسد الغابة:٧/١٨٦/٧٠٩٣

[٣] فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِير» أَيْ فِي قِطْعة مِنْ جَيِّد الْحَرِيرِ، وَجَمْعُهَا سَرَقٌ. النهاية:٢/٣٦٢

[٤] أخرجه مسلم فى: كتاب الفضائل، باب فضل عائشة رضى الله عنها:٤/١٨٨٩/٧٩

النُّبُوَّةِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلاثِ سِنِينَ، وَأَعْرَسَ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ فِي شَوَّالٍ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مُهَاجِرِهِ إلى المدينة[١].

قال هِشَامِ بنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيْهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم متوفى خديجة، قبل الهجرة، وَأَنَا ابْنَةُ سِتٍّ، وَأُدْخِلْتُ عَلَيْهِ وَأَنَا ابْنَةُ تسع سنين جَاءنِي نِسْوَةٌ وَأَنَا أَلْعَبُ عَلَى أُرْجُوْحَةٍ، وَأَنَا مُجَمَّمَةٌ[٢]، فَهَيَّأْنَنِي وَصَنَعْنَنِي، ثُمَّ أَتَيْنَ بِي إِلَيْهِ. قال عروة: ومكثت عنده تسع سنين[٣]

مكانتها عند النبى صلى الله عليه وسلم:

احتلت عائشة رضى الله عنها مرتبة عظيمة لدى النبى صلى الله عليه وسلم، وتمتعت بمكانة خاصة فى قلبه، فقد أحبها صلى الله عليه وسلم، حبا شديداً، بل ولم يتحرج صلى الله عليه وسلم أن يصرح بحبه لها فى كل مناسبة تستدعى ذلك، فحين سأله عمرو بن العاص "رضي الله أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ». قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا»: "[٤]. وقد أدرك الصحابة أيضا مكانتها عند النبى صلى الله عليه وسلم ومحبته لها

---

[١] الاستيعاب:٤/١٨٨١/٤٠٢٩

[٢] الجُمَّة مِنْ شَعَرِ الرَّأْسِ: مَا سَقَط عَلَى المَنْكِبين. (النهاية:١/٣٠٠).

[٣] أخرجه أبو داود فى: كتاب الأدب، بَابٌ فِي الْأُرْجُوحَةِ: ٤/٢٨٤/٤٩٣٣.
وأخرجه بنحوه البخارى فى: كتاب مناقب الأنصارَ، بابُ تَزْوِيجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ، وَقُدُومِهَا المَدِينَةَ، وَبِنَائِهِ بِهَا: ٥/٥٦/٣٨٩٦. ومسلم فى: كتاب النكاح،بَابُ تَزْوِيجِ الْأَبِ الْبِكْرَ الصَّغِيرَةَ: ٢/١٠٣٩/٧٠،٧١.

[٤] أخرجه الترمذى فى: أبواب المناقب ، باب فضل عائشة رضى الله عنها:٥/٧٠٦/٣٨٨٥. وقال: هذا حديث حسن صحيح

فكانوا يقدرونها ويعظمونها ويدافعون عنها بكل حزم وصرامة، روى الترمذى من طريقه عن عَنْ عَمْرِو بْنِ غَالِبٍ، أَنّ رَجُلًا نَالَ مِنْ عَائِشَةَ عِنْدَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، فَقَالَ: «أَغْرِبْ مَقْبُوحًا مَنْبُوحًا أَتُؤْذِي حَبِيبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[١]. حتى أنهم كانوا يتحرون يومها ويبعثون إليه بالهداية، فلما كلمته أم سلمة رضى الله عنها فى ذلك نراه صلى الله عليه وسلم يدافع عن حبه لها ولم يقبل لأحد أن ينال من مكانتها عنده صلى الله عليه وسلم ، عَنْ عَائِشَةَ، هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ، وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، وَإِنَّا نُرِيدُ الخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمُرِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ، أَوْ حَيْثُ مَا دَارَ، قَالَتْ: فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ:« يَا أُمَّ سَلَمَةَ لاَ تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا»[٢] وبان ذلك أيضا فى رده على ابنته فاطمة رضى الله عنها حين قالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ

---

[١] أخرجه الترمذى فى الكتاب والباب السابقين:٥/٧٠٧/٣٨٨٨، وقال «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

[٢] أخرجه البخارى فى: كتاب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم: ٥/٣٥/٣٧٧٥، ومسلم فى: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضى الله عنها:٤/١٨٩١/٨٢.(مختصرا) .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَيْ بُنَيَّةُ أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟» فَقَالَتْ: بَلَى، قَالَ «فَأَحِبِّي هَذِهِ»[1]

وكان دائما يذكر فضلها وقيمتها، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: « فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[2]" .وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ " وَالثَّرِيدُ هُوَ الْخَبْزُ وَاللَّحْمُ جَمِيعًا وَهُوَ أَفْخَرُ طَعَامٍ[3].

ولمكانتها عنده عندما نزلت عليه آية التخيير بدأ بها، فخيرها أولا ، وقد حازت فضل متابعة بقية أزواجه لها، أخرج البخارى عنها رضى الله عنها أنها قَالَتْ لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَخْيِيرِ أَزْوَاجِهِ بَدَأَ بِي، فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلاَ عَلَيْكِ أَنْ لاَ تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ» قَالَتْ: وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ جَلَّ

---

[1] أخرجه مسلم فى: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضى الله عنها:٤/١٨٩١/٨٣.

[2] أخرجه البخارى فى: كتاب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة رضى الله عنها:٥/٢٩/٣٧٧٠، ومسلم فى:كتاب فضائل الحابة، باب فضل عائشة رضى الله عنها:٤/١٨٩٥/٨٩.

[3] أخرجه البخارى فى: كتاب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة رضى الله عنها:٥/٢٩/٣٧٦٩

تَنَاوُهُ قَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا}[١] إِلَى {أَجْرًا عَظِيمًا} " قَالَتْ: فَقُلْتُ: فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ، فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ[٢].

وكان من شدة حبه لها أنه فى مرض موته كان يسأل أين هو مترقبا يوم عائشة فلما أحس زوجاته رضوان الله عليهن غرضه من السؤال أذن له فى الانتقال إلى بيت عائشة رضى الله عنها، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رصى الله عنها قَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيَتَقَدَّدُ يَقُولُ: «أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟» اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي»[٣].

وقد كانت هى أيضا شديدة الحب للنبى صلى الله عليه،فقد كانت رضي الله عنها من شدة حبها لرسول الله "صلى الله عليه وسلم" وورعها لله تعالى إذا حدث أي خصومة من الخصومات التي تحصل بين الأزواج لا تهجر إلا اسمه روت عَائِشَةَ رضى الله عناها، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى» قَالَتْ فَقُلْتُ: وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ قَالَ: " أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ:

---

[١] سورة الأحزاب: الآيات من ٢٨-٤٠

[٢] أخرجه البخارى فى: كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: {وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٢٩]:٦/١١٧/٤٧٨٦.

[٣] أخرجه مسلم فى: كتاب : كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضى الله عنها:٤/١٨٩٣/٨٤.

لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى، قُلْتِ: لَا، وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ " قَالَتْ قُلْتُ: أَجَلْ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ[1].

والحديث عن مكانة عائشة لدى النبى صلى اله عليه وسلم، ومكانة النبى فى قلبه صلى الله عليه وسلم لا يتسع له المكان، ولا يحيط به أقلام.

صفاتها:

قد مُيزت عائشة رضى الله عنها بأجمل الصفات، وجملت بأفضل الشيم، وكثر عليها الثناء من العلماء منذ عصر النبوة إلى الآن، ومهما كتب فيها من مدح فلم يوفيها حقها ولا يوازى قدرها، وقد تكلم عنها الذهبى كلاما جميلا قال: وَكَانَتِ امْرَأَةً بَيْضَاءَ جَمِيْلَةً. وَمِنْ ثَمَّ يُقَالُ لَهَا: الحُمَيْرَاءُ وَلَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكْراً غَيْرَهَا، وَلاَ أَحَبَّ امْرَأَةً حُبَّهَا. وَلاَ أَعْلَمُ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ وَلاَ فِي النِّسَاءِ مُطْلَقاً امْرَأَةً أَعْلَمَ مِنْهَا. وَذَهَبَ بَعْضُ العُلَمَاءِ إِلَى أَنَّهَا أَفْضَلُ مِنْ أَبِيْهَا. وَهَذَا مَرْدُوْدٌ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهَا زَوْجَةُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَهَلْ فَوْقَ ذَلِكَ مَفْخَرٌ وَإِنْ كَانَ لِلصِّدِّيْقَةِ خَدِيْجَةَ شَأْوٌ لاَ يُلْحَقُ وَأَنَا وَاقِفٌ فِي أَيَّتِهِمَا أَفْضَلُ. نَعَمْ جَزَمْتُ بِأَفْضَلِيَّةِ خَدِيْجَةَ عَلَيْهَا لأُمُوْرٍ لَيْسَ هَذَا موضعها[2].

وقد اشتهرت "رضي الله عنها" بالحياء والورع الشديدين حتى أنها كانت تستحي من عمر "رضي الله عنه" وهو في قبره، وكانت "رضي الله عنها"

---

[1] أخرجه مسلم فى: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضى الله عنها:٤/:٤/١٨٩٠/٨٠.

[2] سير أعلام النبلاء:٣/٤٢٨.

كريمة كرمًا مميزًا حتى أنها تنفق آلاف الدراهم دون أن تدخر لنفسها دراهم معدودة للطعام والشراب، حتى أن صور صبر وورع وتواضع وحلم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أكثر من أن تعد.

فمن مظاهر كرمها: ما رواه ابن أبى شيبة عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضى الله عنه، قَالَ: «كَانَتْ عَائِشَةُ تَقْسِمُ سَبْعِينَ أَلْفًا وَهِيَ تُرَقِّعُ دِرْعَهَا»[١]. وقال الذهبى: قَالَ سَعِيْدُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ التَّنُوْخِيُّ: قَضَى مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَائِشَةَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِيْنَارٍ وقال: هَذِهِ رِوَايَةٌ مُنْقَطِعَةٌ. وَالصَّحِيْحُ رِوَايَةُ عروة بن الزبير: أن معاوية بعث مرة إلى عائشة بمئة أَلْفِ دِرْهَمٍ فَوَاللهِ مَا أَمْسَتْ حَتَّى فَرَّقَتْهَا. فَقَالَتْ لَهَا مَوْلاَتُهَا: لَوْ اشْتَرَيْتِ لَنَا مِنْهَا بِدِرْهَمٍ لَحْماً ؟ فَقَالَتْ: إِلَّا قُلْتِ لِي. يَحْيَى بنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ حَجَّاجٍ، عَنْ عَطَاءٍ: أن معاوية بعث إلى عائشة بقلادة بمئة أَلْفٍ فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ[٢].

مظاهر تكريم الله لها:

كما كان لعائشة مكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان لها أيضا مكانة كبيرة عند الله سبحانه وتعالى، فقد أعزها وكرمها ورفع قدرها فى مواقف عديدة، تحدثت هى عنها، قالت: لَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا قَطُّ غَيْرِي. وَلَمْ يَنْكِحِ امْرَأَةً أَبَوَاهَا مُهَاجِرَانِ غَيْرِي. وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَرَاءَتِي مِنَ السَّمَاءِ. وَجَاءَهُ

---

[١] أخرجه ابن أبى شيبة فى صنفه فى: كتاب الزهد، باب كلام عائشة رضى الله عنها: ٣٤٧٤٠/١٣١/٧ عن وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ تَمِيمٍ عنه والحديث رجاله ثقات، وَكِيعٌ، والأعمش معروفان، وتَمِيمُ هو: بْنُ سَلَمَةَ الْخُزَاعِيُّ، قال ابن سعد: كَانَ ثِقَةً (الطبقات الكبرى:٢٨٧/٦)، ووثقه ابن معين و النسائى.(تهذيب الكمال:٨٠٣/٣٣٠/٤

[٢] سير أعلام النبلاء:٣/ ٤٥٩

جِبْرِيلُ بِصُورَتِي مِنَ السَّمَاءِ فِي حريرة وقال: تَزَوَّجْهَا فَإِنَّهَا امْرَأَتُكَ. فَكُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَهُوَ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ. وَلَمْ يَكُنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنْ نِسَائِهِ غَيْرِي. وَكَانَ يُصَلِّي وَأَنَا مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنْ نِسَائِهِ غَيْرِي. وَكَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَهُوَ مَعِي وَلَمْ يَكُنْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَعَ أَحَدٍ مِنْ نِسَائِهِ غَيْرِي، وَقَبَضَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَهُوَ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي. وَمَاتَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهَا وَدُفِنَ فِي بَيْتِي[1]

ويكفيها فضلاً أنه نزل في براءتها قرآن يُتلى إلى يوم القيامة، فعندما تعرضت للابتلاء الشديد الذى كان طعنا فى شرفها والذى تمثل فى حديث الإفك أنزل الله براءتها فى عشر آيات تتلى، فرفع بذلك قدرها، وأعلى شأنها، ورد إليها اعتبارها، وطهر سيرتها، فأنزل الله سبانه وتعالى قوله: { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ..} إلى قوله تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ }[2].

يقول ابن كثير: هَذِهِ الْعَشْرُ آيَاتٍ كُلُّهَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حِينَ رَمَاهَا أَهْلُ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِمَا قَالُوهُ مِنَ الْكَذِبِ الْبَحْتِ وَالْفِرْيَةِ الَّتِي غَارَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا وَلِنَبِيِّهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ [اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ] بَرَاءَتَهَا صِيَانَةً لِعِرْضِ الرَّسُولِ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ فَقَالَ: { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ }[3]

---

[1] ابن سعد:٨/٥٠

[2] سورة النور: الآيات من ١١-٢٠.

[3] تفسير ابن كثير: ٦/١٩.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى فى كل أمورها وما تتعرض له من مواقف الخير والبركة للمسلمين، فقد روت رضى الله عنها : أَنَّهَا اسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ قِلاَدَةً فَهَلَكَتْ " فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَلَبِهَا، فَأَدْرَكَتْهُمُ الصَّلاَةُ، فَصَلَّوْا بِغَيْرِ وُضُوءٍ، فَلَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ آيَةُ التَّيَمُّمِ فَقَالَ: أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: جَزَاكِ اللَّهُ خَيْرًا، فَوَاللَّهِ مَا نَزَلَ بِكِ أَمْرٌ قَطُّ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَكِ مِنْهُ مَخْرَجًا، وَجَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ بَرَكَةً[١] .

ومن مظاهر تكريم الله سبحانه وتعالى لها، سلام جبريل عليه السلام عليها، فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا: « يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلاَمَ» فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لاَ أَرَى « تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٢]

علمها:

كانت السيدة عائشة رضى الله عنها مرجعا علميا لكبار الصحابة وفقهائهم فى السنة والأحكام والاستدلال والفرائض، والحرام والحلال، فكانوا إذا أشكل عليهم شىء فى الدين استفتوها فأفتتهم. روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: لو كانت امرأة تكون خليفة لكانت عائشة خليفة

---

[١] أخرجه البخارى فى: كتاب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة رضى الله عنها:٥/٢٩/٣٧٧٣

[٢] البخارى فى: كتاب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم:٥:/٢٩/٣٧٦٨

أخرجه مسلم فى: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضى الله عنها:٤/١٨٩٥/٩٠.

. وقال أَبو مُوسَى رضى الله عنه، قَالَ: « مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا»[1]:. ولما أجابت في الغسل من الإكسال[2] قال أبو موسى: لا أسأل عنه أحداً بعد هذا اليوم . وقال عمر رضي الله عنه في ذلك: من خالف بعد هذا جعلته نكالاً.

فقد روى أَبو مُوسَى رضى الله عنه، قَالَ: اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ رَهْطٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّونَ: لَا يَجِبُ الْغُسْلُ إِلَّا مِنَ الدَّفْقِ أَوْ مِنَ الْمَاءِ. وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: بَلْ إِذَا خَالَطَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ، قَالَ: قَالَ أَبُو مُوسَى: فَأَنَا أَشْفِيكُمْ مِنْ ذَلِكَ فَقُمْتُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَأُذِنَ لِي، فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّاهْ – أَوْ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ – إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ شَيْءٍ وَإِنِّي أَسْتَحْيِيكِ، فَقَالَتْ: لَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَسْأَلَنِي عَمَّا كُنْتَ سَائِلًا عَنْهُ أُمَّكَ الَّتِي وَلَدَتْكَ، فَإِنَّمَا أَنَا أُمُّكَ، قُلْتُ: فَمَا يُوجِبُ الْغُسْلَ؟ قَالَتْ عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الْأَرْبَعِ وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ»[3]

وقال قبيصة بن ذؤيب: كان عروة بن الزبير يغلبنا بدخوله على عائشة، وكانت عائشة أعلم الناس، يسأل الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله

---

(1) أخرجه الترمذى فى: أبواب المناقب باب فضل عائشة رضى الله عنها:٥/٧٠٥/٣٨٨٣. وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»

(2) الإِكْسَال من أَكْسَل الرجُل: إِذَا جامَع ثُمَّ أَدْرَكه فُتُور فَلَمْ يُنْزل. وَمَعْنَاهُ صارَ ذَا كَسل. (النهاية:٤/١٧٤).

(3) أخرجه مسلم فى: كتاب الحيض، باب بَابُ نَسْخِ الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ وَوُجُوبِ الْغُسْلِ بِالْتِقَاءِ الْخِتَانَيْن:١/٢٧١/٨٨.

عليه وسلم. وقال عروة: كانت عائشة أعلم الناس بالحديث، وأعلم الناس بالقرآن، وأعلم الناس بالشعر، ولقد قلت قبل أن تموت بأربع سنين: لو ماتت عائشة لما ندمت على شيء إلا كنت سألتها عنه. وقال مسروق وقد سئل عن عائشة: هل كانت تحسن الفرائض؟ فقال: لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يسألونها عن الفرائض. ثم حصل علم هؤلاء في طبقة أخرى من أحداث الصحابة[١].

أقوال العلماء فيها:

قَالَ الزُّهْرِيُّ: لَوْ جُمِعَ عِلْمُ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَأُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ لكانت عائشة أوسعهم علمًا[٢].

وقال أيضا " كانت عائشة أعلم الناس، يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله "صلى الله عليه[٣] وسلم"، وقال عطاء "كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة"[٤]. وقال ابن كثير: لَمْ يَكُنْ فِي الْأُمَمِ مِثْلُ عَائِشَةَ فِي حِفْظِهَا وَعِلْمِهَا وَفَصَاحَتِهَا وَعَقْلِهَا، وَلَمْ يَكُنِ الرسول يُحِبُّ أَحَدًا مِنْ نِسَائِهِ كَمَحَبَّتِهِ إِيَّاهَا وَنَزَلَتْ براءتها من فوق سبع سموات

(١) طبقات الفقهاء:/٤٨،٤٧

(٢) سير أعلام النبلاء:٣/٤٦٥

(٣) الطبقات الكبرى:٢/٢٨٥

(٤) تهذيب الكمال:٢٥/٢٣٤

وَرَوَتْ بَعْدَهُ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلْمًا جَمًّا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ حَتَّى قَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْحَدِيثَ الْمَشْهُورَ " خُذُوا شَطْرَ دِينِكُمْ عَنِ الْحُمَيْرَاءِ[1].

وقال مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْصَحَ مِنْ عَائِشَةَ»[2].

وقال الذهبى: أفقه نساء الأمة على الإطلاق، ولا أعلم فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم، بل ولا فى النساء مطلقا إمرأة أعلم منها[3].

وقد كانت من الفصاحة والبلاغة مما جعل الأحنف بن قيس يقول: سمعت خطبة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء بعد فما سمعت الكلام من في مخلوق أفخر ولا أحسن من عائشة أم المؤمنين[4].

ومع صغر سنها، فقد فقد جمعت رضى الله عنها بفطتها وذكائها بين المعرفة بكثير من العلوم، فعلاوة على علمها بعلوم الشريعة التى كانت هى الأساس عندها حيث تعلمتها من نشأتها فى بيت النبوة، والتى أصبحت بها

---

[1] البداية والنهاية:١٥٩/٣ والحديث قال عنه قال ابن كثير –رحمه الله تعالى: هو حديث غريب جدا بل هو منكر سألت عنه شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي وقال : لم أقف له على سند إلى الآن. وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي : هو من الأحاديث الواهية التي لا يعرف لها إسناد) (تحفة الطالب صـ١٧٠).وقال المباركفورى:هذا حديث حسن صحيح غريب) وأما حديث خذوا شطر دينكم عن الحميراء يعني عائشة فقال الحافظ بن الحجر العسقلاني لا أعرف له إسنادا ولا رواية في شيء من كتب الحديث إلا في النهاية لابن الأثير. (تحفة الأحوذى: ٢٥٩/١٠).

[2] أخرجه الترمذى فى: أبواب المناقب باب فضل عائشة رضى الله عنها:٣٨٨٤/٧٠٥/٥. وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»

[3] سير أعلام النبلاء:٤٢٦/٣

[4] تاريخ دمشق، ترجمة الضحاك بن قيس بن معاوية :٣٥٢/٢٤

من أفقه نساء الأمة، فقد كانت لديها معرفة بالطب والشعر وأنساب العرب. أما معرفتها بكل هذا، فقد روى عروة بن الزبير قال: لَقَدْ صَحِبْتُ عَائِشَةَ فَمَا رَأَيْتُ أَحَداً قَطُّ كَانَ أَعْلَمَ بِآيَةٍ أُنْزِلَتْ وَلاَ بِفَرِيْضَةٍ وَلاَ بِسُنَّةٍ وَلاَ بِشِعْرٍ وَلاَ أَرْوَى لَهُ وَلاَ بِيَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ العَرَبِ وَلاَ بِنَسَبٍ وَلاَ بِكَذَا وَلاَ بِكَذَا وَلاَ بِقَضَاءٍ وَلاَ طِبٍّ مِنْهَا. فَقُلْتُ لَهَا: يَا خَالَةُ الطِّبُّ مِنْ أَيْنَ عُلِّمْتِهِ؟ فَقَالَتْ: كُنْتُ أَمْرَضُ فَيُنْعَتُ لِيَ الشَّيْءُ وَيَمْرَضُ المَرِيْضُ فَيُنْعَتُ لَهُ وَأَسْمَعُ الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه. قَالَ عُرْوَةُ: فَلَقَدْ ذَهَبَ عَامَّةُ عِلْمِهَا لَمْ أَسْأَلْ عَنْهُ أخرج أبو نعيم فى الحلية عن هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، رضى الله عنهما قَالَ: « مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَعْلَمَ بِالْقُرْآنِ وَلَا بِفَرِيضَةٍ وَلَا بِحَلَالٍ وَلَا بِحَرَامٍ وَلَا بِشِعْرٍ وَلَا بِحَدِيثِ الْعَرَبِ وَلَا بِنَسَبٍ مِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا»[1] وعن هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ رضى الله عنه، قَالَ: كَانَ عُرْوَةُ يَقُولُ لِعَائِشَةَ: يَا أُمَّتَاهُ لَا أَعْجَبُ مِنْ فِقْهِكِ أَقُولُ زَوْجَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ وَلَا أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكِ بِالشِّعْرِ وَأَيَّامِ النَّاسِ أَقُولُ: ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ وَلَكِنْ أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكِ بِالطِّبِّ كَيْفَ هُوَ؟ وَمِنْ أَيْنَ هُوَ؟ وَمَا هُوَ؟ قَالَ: فَضَرَبَتْ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَتْ: «أَيْ عُرَيَّةُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْقَمُ فِي

---

[1] أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء:٢/٤٩،٥٠ (من طريق الْحَسَنُ بْنُ عَلَّانَ الْوَرَّاقُ، ثنا جَعْفَرٌ الْفِرْيَابِيُّ، ثنا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ، ثنا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عنه.. الحديث) والْحَسَنُ بْنُ عَلَّانَ الْوَرَّاقُ، لم أقف له على ترجمة فيما= = اطلعت عليه من المراجع.، و عَلِيُّ بْنُ مُسْهِر وثقه العجلى (الثقات للعجلى: صـ٣٥١/ ١١٩٩) وقال أبو حاتم: صالح الحديث (الجرح والتعديل:٦/٢٠٤/ ١١١٩)، و مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ بن عَبْد الرحمن التميمي ذكره ابن حبان فى الثقات ، ٩/٢٠٦/١٦٠٣٤ تهذيب الكمال:٢٨/٤٩٠/١٦٧٥

آخِرِ عُمُرِهِ فَكَانَتْ تَقْدُمُ عَلَيْهِ الْوُفُودُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ فَتَنْعَتُ لَهُ فَكُنْتُ أُعَالِجُهُ فَمِنْ ثَمَّ»[1]

روايتها الحديث:

فقد روت لنا جملة من التشريعات التي حوت أدق تفاصيل حياته "صلى الله عليه وسلم". وهى أكثر الصحابيات رواية للحديث تليها أم سلمة رضى الله عنهما، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من الأحاديث النبوية ألفين ومئتين وعشرة أحاديث.

قال الذهبى: مُسْنَدُ عَائِشَةَ": يَبْلُغُ ألفين ومئتين وَعَشْرَةِ أَحَادِيْثَ. اتَّفَقَ لَهَا البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَلَى مئة وَأَرْبَعَةٍ وَسَبْعِيْنَ حَدِيْثاً وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِأَرْبَعَةٍ وَخَمْسِيْنَ وَانْفَرَدَ مُسْلِمٌ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّيْنَ. وذكر خلقاً كثيراً ممن رووا عنها[2]

---

[1] حلية الأولياء:٢/٥٠،٤٩ من طريق: (أَبُى بَكْرِ بْنُ مَالِكٍ، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ الزُّبَيْرِيُّ عنه رضى الله عنه ....الحديث)، وأبو بكر بن مالك لم أقف له على ترجمة فيما اطلعت عليه من مراجع. وعَبْدُ اللهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ الزُّبَيْرِيُّ قال عنه قال أبو حاتم: مستقيم الحديث:.وقال البخارى: منكر الحديث التاريخ الأوسط:٢/٢٨٧/٢٦٢٩ وقال الذهبى بعد أن نقل قول البخارى: إذ قولّنا في الرجل مُنْكَر الحديث لا نعني به أنّ كل ما رواه مُنْكَر، فإذا روى الرجل جملةً، وبعض ذلك مناكير، فهو مُنْكَر الحديث. (تاريخ الإسلام:٤/٩٠١/١٩٢) طريقا الحديث فيهما ضعف ، ففى كل منهما راو لم أقف على ترجمته ، وفى الثانى أيضا معاوية بن عبد الله قال عنه البخارى منكر الحديث ، وإن كان قال فيه أبو حاتم مستقيم الحديث، فالحديث يجب التوقف فيه حتى يتبين حال كل من (الْحَسَنُ بْنُ عَلَّانَ، أبى بكر بن مالك).

[2] سير أعلام النبلاء:٣/٤٢٨.

وفاتها:

ماتت سنة ثمان وخمسين في ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان عند الأكثر وقيل سنة سبع، ذكره علي بن المدينيّ، عن ابن عيينة، عن هشام بن عروة[١].

وقال ابن عبد البر: وقد قيل: إنها توفيت سنة ثمان وخمسين، ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، أمرت أن تدفن ليلًا، فدفنت بعد الوتر بالبقيع، وصلى عليها أَبُو هريرة[٢]، ذلك في آخر أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفى النهاية

إن شخصية أم المؤمنين رضي الله عنها التي اتصفت بهذه الصفات العالية وقدمت للنساء كافة أسوة حسنة لحياة مثالية كاملة، ورسمت لكل من أتى بعدها أمثل الطرق وأنفعها، وذلك بمآثرها الخالدة، وعبادتها لله تعالى، والمُثُل الحيّة والأساليب العملية للأخلاق الشرعية شرحاً تفصيلياً، فلها المنّ والفضل من جميع النواحي الدينية والعلمية والاجتماعية على النساء بل والرجال معا

---

[١] الإصابة:٨/٣٨٥)

[٢] الاستيعاب:٤/١٨٨٥

المبحث الرابع

الحكيمة العاقلة

أم سلمة رضى الله عنها

المرأة التى نتحدث عنها ونعرض سيرتها، هى سيرة لإمرأة من أكمل النساء عقلا وخلقا.عرفت بالعديد من الصفات التى تميزت بها عن غيرها، فقد كانت حكيمة مضحية صابرة، صبرت على ما لاقت فى سبيل ثباتها على الحق، وتمسكها بدينها، صمدت أمام تعنت أهلها وأهل زوجها حين منعوها من الهجرة إلى المدينة للحوق بزوجها، حتى جعل الله لها مخرجا، فأعطت بموقفهاهذا لكل بنات جنسها درسا فى الصمود والثبات والتمسك بالحق.

نسبها:

هى: أُمُّ سَلَمَة هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عُمَرَ بنِ مَخْزُوْمِ بنِ يَقَظَةَ بنِ مُرَّةَ المَخْزُوْمِيَّةُ بِنْتُ عَمِّ خَالِدِ بنِ الوَلِيْدِ سَيْفِ اللهِ وَبِنْتُ عَمِّ أَبِي جَهْلٍ بنِ هِشَامٍ.

مِنْ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلِ. كَانَتْ قَبْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَخِيْهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ: أَبِي سَلَمَةَ بنِ عَبْدِ الأَسَدِ المَخْزُوْمِيِّ الرَّجُلِ الصَّالِحِ. وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَشْرَفِهِنَّ نَسَباً[1].

[1] سير أعلام النبلاء:٣/٤٦٧/١١٦

وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بْن مالك بْن خزيمة بْن علقمة بْن فراس. وكان أبوها يلقب زاد الركب لأنه كان أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم فكان إذا سافر لم يحمل أحد معه من رفقته زادا بل هو كان يكفيهم[١]

هجرتها

كانت وزجها من السابقين الأولين إلى الإسلام، هاجرا مع العشرة الأولين إلي الحبشة ؛ حيث ولدت هناك سلمة. قال ابن سعد: وكان أبو سلمة من مهاجرة الحبشة في الهجرتين جميعا ومعه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية فيهما جميعا مجمع على ذلك في الروايات[٢] وكانت أيضا من المهاجرات إلى المدينة. وفى قصة هجرتها إلى المدينة تنطوى على كثير من المواقف التى تدل على صبرها وثباتها وتضحيتها فى سبيل التمسك بالحق والدفاع عن الاختيار ، يروى حفيدها سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة، عن جدته أم سلمة أنها قالت: " لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة، رحل بعيرا له وحملني، وحمل معي ابني سلمة، ثم خرج يقود بعيره، فلما رآه رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه؟ علام تترك تسير بها في البلاد؟ ونزعوا خطام البعير من يده، وأخذوني. وغضبت عند ذلك بنو عبد الأسد، وأهووا إلى سلمة وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. فتجاذبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة حتى لحق بالمدينة، ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني. قالت: فكنت أخرج كل غداة

---

[١] الإصابة:٨/٣٤٢

[٢] الطبقات الكبرى:٣/١٨١

فأجلس بالأبطح[1]، فما أزال أبكي، حتي أمسي سنة أو قريبها. حتى مر بي رجل من بني عمي، من بني المغيرة، فرأى ما بي، فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون من هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها، فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت. ورد علي بنو عبد الأسد عند ذلك ابني، فرحلت بعيري ووضعت ابني في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله، فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة أخا بني عبد الدار فقال: أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: أريد زوجي بالمدينة، فقال: هل معك أحد؟ فقلت: لا والله، إلا الله وابني هذا، فقال: والله ما لك من مترك. فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يقودني، فوالله ما صحبت رجلا من العرب أراه كان أكرم منه، إذ بلغ المنزل أناخ بي ثم تنحى إلى شجرة اضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعير فقدمه فرحله، ثم استأخر عني، وقال: اركبي، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقادني حتى ننزل، فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بي إلى المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية وكان أبو سلمة نازلا بها فدخلتها على بركة الله تعالى، ثم انصرف راجعا إلى مكة.

وكانت تقول: ما أعلم أهل بيت أصابهم في الإسلام ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة، وقيل: إنها أول

---

[1] بَطْحَاء الْوَادي وأَبْطَحُهُ: حَصَاهُ اللَّيّن فِي بطْن المَسيل. يَعْنِي أَبْطَحَ مَكَّةَ، وَهُوَ مَسِيل وَادِيها، ويُجمع على البِطَاح،(النهاية:١/١٣٤)

ظعينة هاجرت إلى المدينة، والله أعلم، وتزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أبي سلمة[١]

قصة زواجها من النبى صلى الله عليه وسلم:

دَخَلَ بِهَا النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الهِجْرَةِ

فقد تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، هاجرا جميعا إلى أرض الحبشة الهجرتين، ثم قدما المدينة، فأصابته جراحة بأحد، فمات من جراحته، وكان تزوجها وهي بكر، فولدت له: سلمة، وعمر، ودرة، وزينب[٢].

يروى عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قال: خرج أبي إلى أحد فرماه أبو سلمة الجشمي في عضده بسهم فمكث شهرا يداوي جرحه ثم برئ الجرح. وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أبي إلى قطن([٣]) فِي الْمُحَرَّمِ عَلَى رَأْسِ خَمْسَةٍ وَثَلاثِينَ شَهْرًا فغاب تسعا وعشرين ليلة ثم رجع فدخل المدينة لثمان خلون من صفر سنة أربع. والجرح منتقض. فمات منه لثمان خلون من

---

[١] السير والمغازى لابن اسحاق:٢٦٠/١ والسيرة النبوية لابن هشام:٤٧٠/١،٤٦٩و أسد الغابة:٣٢٩/٧/٧٤٧٢، و الإصابة:٤٠٥/٨/١٢٠٦٥

[٢] معرفة الصحابة:٩٥٧/١

[٣]() قطن: جبل بنجد: فى بلاد بنى أسد، على يمينك إذا فارقت الحجاز وأنت صادر من النقرة وقال بن إسحاق: قطن: ماء من مياه بنى أسد بنجد، بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سلمة بن عبد الأسد فى سريّة (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع:١٠٨٣/٣).

جمادى الآخرة سنة أربع من الهجرة. فاعتدت أمي وحلت لعشر بقين من شوال سنة أربع فتزوجها رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في ليال بقين من شوال سنة أربع. وتوفيت في ذي القعدة سنة تسع وخمسين[١].

وأخرج مسلم قصة خطبطها لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أبى سلمة رضى الله عنه، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضى الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}[٢]، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا "، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ»[٣]

وفى الطبقات الكبرى عن أُمُّ سَلَمَةَ رضى الله عنها قَالَتْ: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي مِنْ أَبِي سَلَمَةَ أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَكَلَّمَنِي بَيْنِي وَبَيْنَهُ حِجَابٌ فَخَطَبَ إِلَيَّ نَفْسِي فَقُلْتُ: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا تُرِيدُ إِلَيَّ. مَا أَقُولُ هَذَا إلا رَغْبَةً لَكَ عَنْ نَفْسِي. إِنِّي امْرَأَةٌ قَدْ أَدْبَرَ مِنِّي سِنِّي وَإِنِّي أُمُّ أَيْتَامٍ وَأَنَا امْرَأَةٌ شَدِيدَةُ الْغَيْرَةِ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَجْمَعُ النِّسَاءَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: فَلا يَمْنَعُكِ ذَلِكَ. أَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ غَيْرَتِكِ فَيُذْهِبُهَا اللَّهُ. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ سِنِّكِ

---

[١] الطبقات الكبرى:٨/٦٩.

[٢] سورة البقرة: جزء آية ١٥٦

[٣] أخرجه مسلم فى: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة:٢/٦٣١/٣

فَأَنَا أَكْبَرُ مِنْكِ سِنًّا. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ أَيْتَامِكِ فَعَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ. فَأَذِنْتُ لَهُ فِي نَفْسِي فَتَزَوَّجَنِي. فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ وَاعَدْنَا الْبِنَاءَ قُمْتُ مِنَ النَّهَارِ إِلَى رَحَايَ وَثَقَالِي فَوَضَعْتُهُمَا وَقُمْتُ إِلَى فَضْلَةِ شَعِيرٍ لأَهْلِي فَطَحَنْتُهَا وَفَضْلَةٍ مِنْ شَحْمٍ فَعَصَدْتُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ. فَلَمَّا أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ قُدِّمَ إِلَيْهِ الطَّعَامُ فَأَصَابَ مِنْهُ.

وَبَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: قَدْ أَصْبَحَ بِكِ عَلَى أَهْلِكِ كَرَامَةٌ وَلَكِ عِنْدَهُمْ مَنْزِلَةٌ فَإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ تَكُونَ لَيْلَتُكِ هَذِهِ وَيَوْمُكِ هَذَا كَانَ. وَإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ أُسَبِّعَ لَكِ سَبَّعْتُ. وَإِنْ سَبَّعْتُ لَكِ سَبَّعْتُ لِصَوَاحِبِكِ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ افْعَلْ مَا أَحْبَبْتَ(١).

رؤيتها جبريل عليه السلام:

وقد شرفها الله سبحانه وتعالى برؤية جبريل عليه السلام عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: لَا تَكُونَنَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ، أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ. قَالَ: وَأُنْبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَتَى نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، قَالَ: فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمِّ سَلَمَةَ: «مَنْ هَذَا؟» أَوْ كَمَا قَالَ: قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ، قَالَ: فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَيْمُ اللهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ... الحديث"(٢).

---

(١) الطبقات:٨/٧٢. وقد ذكر القصة بألفظ كثيرة فيها زيادة ونقص والمجال لا يتسع لذكرها

(٢) أخرجه مسلم في: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها:٤/١٩٠٦/١٠٠

موقفها فى صلح الحديبة:

كانت لأم سلمة رضى الله عنها من موفور عقلها ما تضرب به الأمثال من الحصافة والحكمة والتدبير والاستبصار في الأمور وتقدير عواقبها.

وكان لها الفضل يوم الحديبية في حفظ كيان الجماعة من التصدُّع، فكان رأيها يوم الحديبيّة التى أشارت به على النبي صلى الله عليه وآله وسلم دليلا على وفور عقلها، أخرج البخارى عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ فى حديث طويل قال فيه: " فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ المُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ}([1])حَتَّى بَلَغَ بِعِصَمِ الكَوَافِرِ فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ، كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَالأُخْرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى المَدِينَةِ،[2].

([1]) سورة الممتحنة: جزء آية ١٠.

[2] أخرجه البخارى فى: كتاب الشروط، بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ:٣/١٩٣/٢٧٣١فى حديث طويل ذكر فيه قصة صلح الحديبية

وكانت أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها) تُوصف "بصاحبة الرأي الصَّائب"

وكانت تعد من فقهاء الصحابيات. ولذلك كان كبار الصحابة يأتون إليها يطلبون حكمها عند الاختلاف في مسألة فقهية، ومن ذلك أن أبا هريرة وابن عباس رضى الله عنهما اختلفا في عدة المتوفى عنها زوجها إذا وضعت حملها، فقال أبو هريرة لها أن تتزوج، وقال ابن عباس: بل تعتدّ أبعد الأجلين، فبعثوا إلى أم سلمة فقضت بصحّة رأي أبي هريرة رضي الله عنهم جميعا.

عن سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ، أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَابْنَ عَبَّاسٍ، اجْتَمَعَا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُمَا يَذْكُرَانِ الْمَرْأَةَ تُنْفَسُ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِلَيَالٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عِدَّتُهَا آخِرُ الْأَجَلَيْنِ، وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: قَدْ حَلَّتْ، فَجَعَلَا يَتَنَازَعَانِ ذَلِكَ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَا مَعَ ابْنِ أَخِي – يَعْنِي أَبَا سَلَمَةَ – فَبَعَثُوا كُرَيْبًا مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، يَسْأَلُهَا عَنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ، أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَتْ: «إِنَّ سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةَ نُفِسَتْ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِلَيَالٍ، وَإِنَّهَا ذَكَرَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَتَزَوَّجَ»[١].

روايتها للحديث:

تعتبر أم سلمة من المكثرات فى رواية الحديث فهى تأتى فى المرتبة الثانية بعد عائشة رضى الله عنهما، بلغ مسندها ثلاث مائة وثمانية وسبعين حديثا.

---

[١] أخرجه مسلم فى: كتاب الطلاق، باب بَابُ انْقِضَاءِ عِدَّةِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، وَغَيْرِهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ:٢/١١٢٢/٥٧

اتفق البخاري ومسلم لها على ثلاثة عشر. وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بثلاثة عشر[١].

روى عنها: ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَائِشَةُ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، وَأَنَسٌ، وَبُرَيْدَةُ، وَأَبُو رَافِعٍ، وَأَبُو الطُّفَيْلِ، وسعيد بن المسيب وشقيق بن سلمة والأسود بن يزيد والشعبي وأبو صالح السمان ومجاهد ونافع بن جبير بن مطعم ونافع مولاها ونافع مولى ابن عمر وعطاء بن أبي رباح وشهر ابن حوشب وابن أبي مليكة وخلق كثير[٢].

وفاتها:

كانت أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – آخر من مات من أمهات المؤمنين، تُوُفِّيَتْ في زمن يزيد بن معاوية سنة إحدى وستين للهجرة، ، وعمرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد فوجمت لذلك وغشي عليها وحزنت عليه كثيرا لم تلبث بعده إلا يسيرا وانتقلت إلى الله. كانت حين وفاتها قد تجاوزت الرابعة والثمانين من عمرها[٣].

وقال أبو نعيم: توفيت سنة تسع وخمسين، بعد عائشة بستة أيام، ويقال: سنة إحدى وستين[٤]

---

[١] أعلام النبلاء:٣/٤٧٢)

[٢] المرجع السابق::٣/٤٦٧ ، سير أعلام النبلاء:٣/٤٦٧ ومعرفة الصحابة:٦/٣٢١٨

[٣] سير أعلام النبلاء:٣/٤٦٧

[٤] معرفة الصحابة:٦/٣٢١٨

مواهب متعددة

نعرض نموذجا للمرأة التى عاشت فى ظل الإسلام متمتعة بكافة حقوقها الاجتماعية والدينية، تشارك فى المجتمع الذى تعيش فيه بإيجابية وهِمّة لايمنعها من المطالبة بحقوقها وحقوق بنى جنسها كونها أنثى، فدللت بما قامت به على عظمة الإسلام وعدله فى إعطاء الحق فى المجتمع للناس سواء دون النظر إلى الجنس أو العرق أو الدين، فهذه الشخصية ضربت المثل لما ينبغى على المرأة المسلمة وما يجب أن تكون عليه من الحرص على تحصيل ما يعود عليها بالخير فى الدنيا والآخرة، فقد اكتسبت من تعاليم دينها الوعى الكامل بحقوقها، وتعلمت أن بحصولها على تلك الحقوق تستطيع أن تكون عنصرا فاعلا فى المجتمع؛ لأنها أدركت أن المجتمع لا يمك أن يقوم بالرجل وحده لكن لابد للنهوض به أن يتشارك الرجل والمرأة، فانطلقت تطالب بحقها فى التعلم، فالعلم يساعدهاعلى تربية وجدانها، ويبصرها بالحقوق والواجبات، ليس هذا فحسب، ولكن العلم يجعلها أكثر قدرة على تنشئة الأولاد النشأة السليمة، فتقدم لمجتمعها أفراد أسوياء صالحين، ينعم بهم المجتمع ويرتقى، فمن هذا المنطلق حرصت المرأة على منافسة الرجال فى طلب العلم، فها هى تذهب إلى النبى صلى الله عليه وسلم وتطلب منه أن يخصهن بيوم ليعلمهن فيه كما يفعل مع الرجال، فقد روى البخارى عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ،

فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: «وَاثْنَتَيْنِ»[1]

وقد تعددت الأدوار التى قامت بها النساء فى خدمة الدعوة والوقوف بجانب النبى صلى الله عليه وسلم، فى وقت كان فيه فى أمس الحاجة للمساندة والمؤآزرة، فلم يبخلن بالجهد ولا الوقت، بل و بأعز وأعظم من ذلك فقد جُدن بأعز ما يملكن وهو الولد والزوج والأخ، فقدمن أروع الأمثلة فى البذل والعطاء.

وهذه بعض من الصور المشرقة من النساء من غير أمهات المؤمنين اللآتى لهن أثر واضح فى تاريخ المسلمين .

[1] أخرجه البخارى البخارى فى: كتاب العلم، باب: هَلْ يُجْعَلُ لِلنِّسَاءِ يَوْمٌ عَلَى حِدَةٍ فِي العِلْم: ١/٣٢/١٠١

المبحث الخامس

خطيبة النساء

أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ

فهذا نموذج للمرأة التى تربت فى مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتى أخرجها الإسلام من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان ، فبَصُرت بحقوقها وواجباتها، ودفعها إمتلاكها لحريتها إلى التميز، فوظفت إمكاناتها لخدمة دينها ومجتمعها، فسبقت المجتمعات الحديثة بالمطالبة بحقوق المرأة والدفاع عنها، وليس هذا فحسب بل كانت لها اسهامات أخرى خدمت بها الدين والمجتمع ، وقد وصفها ابن عبد البر بأنها كانت من ذوات العقل والدين(١). فهذه المرأة هى:

أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ بن السَّكَن بِنْ رَافِع الْأَنْصَارِيَّةُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ أُمَّ عَامِر الأَشْهَلِيَّة وَأُمُّ سَلَمَةَ. مِنَ المُبَايِعَاتِ المُجَاهِدَاتِ (٢).

---

(١) الاستيعاب:٤/١٧٨٤/٣٢٣٣.

(٢) ترجم أبو نعيم فى معرفة الصحابة لاثنتين الأولى: أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ الْأَنْصَارِيَّةُ قال: وَهِيَ بِنْتُ عَمِّ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَتَلَتْ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ تِسْعَةً مِنَ الرُّومِ بِعَمُودِ فُسْطَاطِهَا (معرفة الصحابة:٦/٣٢٥٨) والثانية: أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيَّةُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قال: وَافِدَةُ النِّسَاءِ، رَوَى عَنْهَا، مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْدٍ، ذَكَرَهَا الْمُتَأَخِّرُ وَأَفْرَدَهَا عَنِ الْمُتَقَدِّمِ، وَهُوَ عِنْدِي الْمُتَقَدِّمُ (معرفة الصحابة:٦/٣٢٥٩) فجعلهما اثنتين وكذلك ترجمها الذهبى فى السير قال: أسماء بنت يزيد بن السكن أم عامر وَأُمُّ سَلَمَةَ الأَنْصَارِيَّةُ الأَشْهَلِيَّةُ، بِنْتُ عَمَّةِ مُعَاذِ بن جبل. مِنَ المُبَايِعَاتِ المُجَاهِدَاتِ. قَالَ وَلاَ يَسْتَقِيْمُ ذَلِكَ لأَنَّ أَسْمَاءَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ وَمُعَاذاً مِنْ بَنِي سَلِمَةَ قَالَ: قَتَلْتُ يَوْمَ اليَرْمُوْكِ تِسْعَةً (سير أعلام النبلاء:٣/٥٢٥/١٤٩) فهو اعتبر أنهما واحدة، وأراد أن ==

==

يصحح صلة قرابتها بمعاذ رضى الله عنه، والذى يراجع الترجمة يلاحظ أنه فى بداية الترجمة قال: (بِنْتُ عَمَّةِ مُعَاذِ بن جبل) وعندما أراد أن يبين الخطأ فى نسبتها إلى معاذ قال: رَوَى مُحَمَّدُ بنُ مُهَاجِرٍ وَأَخُوْهُ عَمْرٌو، عَنْ أَبِيْهِمَا، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيْدَ بِنْتِ عَمِّ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ كَذَا قَالَ وَلاَ يَسْتَقِيْمُ ذَلِكَ لأَنَّ أَسْمَاءَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ وَمُعَاذاً مِنْ بَنِي سَلِمَةَ.ـ وهى لواعتبرت بنت عمته فلا علاقة لها بنسب معاذ لأن بنت العمة لادخل لها بنسب ابن خالهاـ والملاحظ أيضا أن البعض قال أنها ابنة عم معاذ بن جبل كما هو الحال عند أبى نعيم ، وكذلك عند ابن حجر فى (الإصابة:٨/٢١،٢٢) وبعضها قال: بِنْتُ عَمَّةِ مُعَاذِ بن جبل وهوما ذكره ابن الأثير (أسد الغابة: ٧/١٦/٦٧١٧). وقد نقل الخلاف الوارد فى كونها واحدة أم اثنتين ابن الأثير بعد أن ذكر حديث وفادتها إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال: أخرجه الثلاثة ـ يعنى بالثلاثة: ابن منده، وابن عبد البر، وأبا نعيم ـ ، وقال أبو نعيم: أفردها المتأخرة عن المتقدمة، وهي عندي المتقدمة يعني: أسماء بنت يزيد بن السكن. وقال:

: قد جعل ابن منده، وأبو نعيم أسماء بنت يزيد الأشهلية غير أسماء بنت يزيد بن السكن، وذكرا حديث رسالة النساء للأشهلية. وأما ابن عبد البر فقد جعل أسماء بنت يزيد بن السكن هي الأشهلية، وهي رسول النساء، فجعل المرأتين واحدة، ووافقه أبو نعيم، فإنه جعلهما ترجمتين مثل ابن منده، وانكر على ابن منده، وقال: أفردها المتأخر، وهي المتقدمة. وقد جعل أحمد بن حنبل أسماء بنت يزيد بن السكن هي الأشهلية. وذكر حديث تزيين عائشة رضى الله عنها وقال: ولم ينسبها واحد منهم، وهي: أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. أسد الغابة:٧/١٧ ذكر ذلك بعد أن ذكر الترجمتين انتهى.

والذى يظهر لى أنهما واحدة لأن من جعلهما اثنتين فرق بينهما بقوله:(أسماء بنت يزيد بن السكن) فأعتبر نسبة يزيد إلى (السكن) هى الفارق بينهما والناظر فى الترجمتين يجد يزيدا منسوبا إلى السكن فى الترجمتين. كما يلاحظ فى كلام ابن الأثير تناقض

==

فمنذ بداية دخولها الإسلام كانت حريصةعلى معرفة ما يجب عليها فعله وما يجب تركه، حريصة أن تكون بصيرة بمسؤلياتها تجاه عقيدتها ومايضمن لها سلامة دينها، فهاهى عندما جاءت لتبياع النبى صلى الله عليه وسلم، عملا بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[١] بادرت بسؤال النبى صلى الله عليه وسلم عن المعروف الذى لا ينبغى لهن عصيانه فيه فأجابها النبى صلى الله عليه وسلم، ولكنها لم تكتف بالجواب ولكن راجعته صلى الله عليه وسلم حتى تصل إلى الجواب الذى يكون لها حجة أمام الآخرين، فلو أن النبى صلى الله عليه وسلم أجابها بالرفض لطلبها لكان لها بذلك الرد حجة على من جاملوها. وتتلخص تلك القصة فيما أخرجه الترمذى عن أُمُّ سَلَمَةَ الأَنْصَارِيَّةُ رضى الله عنها، قَالَتْ: قَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ النِّسْوَةِ: مَا هَذَا المَعْرُوفُ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَعْصِيَكَ فِيهِ؟ قَالَ: «لَا تَنُحْنَ»[٢]، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَنِي

==

حيث قال: ووافقه أبو نعيم ـ ويقصد أبا عمر بن عبد البر ـ مع كون قال أن ابن عبد البر جعلهما واحدة ، فى حين أن أبا نعيم جعلهما اثنتين.

[١] سورة الممتحنة: آية١٢.

[٢] النَّوْحُ: مَصْدَرُ ناحَ يَنُوحُ نَوْحاً. وَيُقَالُ: نَائِحَةٌ ذَاتُ نِياحة. ونَوَّاحةٌ ذَاتُ مَناحةٍ. والمَناحةُ: الِاسْمُ وَيُجْمَعُ عَلَى المَناحاتِ والمَناوِح. والنوائحُ: اسْمٌ يَقَعُ عَلَى النِّسَاءِ يَجْتَمِعْنَ فِي مَناحة وَيُجْمَعُ عَلَى الأَنْواح، والتَّناوُحُ: التَّقابُلُ؛ وَمِنْهُ تَناوُحُ الْجَبَلَيْنِ وتناوُحُ الرِّيَاحِ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ النِّسَاءُ النوائحُ نَوائِحَ، لأَن بَعْضَهُنَّ يُقَابِلُ بَعْضًا إذا نُحْنَ(لسان العرب:٦٢٧/٢).

فُلَانٍ قَدْ أَسْعَدُونِي[1] عَلَى عَمِّي وَلَا بُدَّ لِي مِنْ قَضَائِهِمْ، فَأَبَى عَلَيَّ، فَعَاتَبْتُهُ مِرَارًا، فَأَذِنَ لِي فِي قَضَائِهِنَّ، فَلَمْ أَنُحْ بَعْدَ قَضَائِهِنَّ وَلَا غَيْرِهِ حَتَّى السَّاعَةَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ النِّسْوَةِ

إِمْرَأَةٌ إِلَّا وَقَدْ نَاحَتْ غَيْرِي »[2].

وعُرفت بأنها خطيبة النساء، لأنها كانت تدافع عنهن وتسأل عن حقوقهن، واشتهرت بمتابعة أمور دينها والتعرف على دقائق أموره، كانت تسأل النبي صلى الله عليه وسلم،عن كل شيء، واشتهرت بذلك حتى شهد لها الصحابة الكرام بفصاحة اللسان وقوة البيان وسحر الكلام، وحسن المنطق. وقد شهد لها النبى صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك، فقد أخرج أبو

---

[1] هُوَ إِسْعَادُ النِّسَاءِ فِي المنَاحات، تقومُ المرأةُ فَتَقُومُ مَعَهَا أُخْرى مِنْ جارَاتها فَتُسَاعِدُهَا عَلَى النِّياحَة. وَقِيلَ كَانَ نِساءُ الجَاهِلية يُسْعِدُ بعضُهن بَعْضًا عَلَى ذَلِكَ سَنَةً فنُهين عَنْ ذَلِكَ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: أَمَّا الْإِسْعَادُ فخاصٌّ فِي هَذَا الْمَعْنَى. وَأَمَّا الْمُسَاعَدَةُ فعامَّة فِي كُلّ معُونة. يُقَالُ إنَّها مِنْ وضْع الرَّجُلِ يدَه عَلَى سَاعِدِ صَاحِبِهِ إِذَا تماشَيا فى حاجة (النهاية:٣٦٦/٢).

قال الحافظ والأقرب إلى الصواب أن النياحة كانت مباحة ثم كرهت كراهة تنزيه ثم تحريم (فتح البارى:٦٣٩/٨).

وقال العيني والجواب الذي هو أحسن الأجوبة وأقربها أن يقال إن النهي ورد أولا للتنزيه ثم لما تمت مبايعة النساء وقع التحريم فيكون الإذن الذي وقع لمن ذكر في الحالة الأولى ثم وقع التحريم وورد الوعيد الشديد في أحاديث كثيرة . (عمدة القارئ :٢٣٢/١٩) ويراجع (تحفة الأحوذى:١٤٦/٩).

[2] أخرجه الترمذى: كتاب تفسير القرآن الكريم، باب: من سورة الممتحنة:٤١١/٥/ ٣٣٠٧ ، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ قَالَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ: " أُمُّ سَلَمَةَ الأَنْصَارِيَّةُ هِيَ: أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ.

نعيم فى معرفة الصحابة قال:حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْمَقْدِسِيُّ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُدْرِكٍ، ثنا الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ مَزْيَدٍ، حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْأَخْطَلُ بْنُ الْمُرَقَّلِ السَّاحِلِيُّ، مِنْ أَهْلِ جُبَيْلٍ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، ثنا مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيَّةِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، أَنَّهَا أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَنَا وَافِدَةُ النِّسَاءِ إِلَيْكَ، وَاعْلَمْ، نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ، أَنَّهُ مَا مِنَ امْرَأَةٍ كَائِنَةٍ فِي شَرِقٍ وَلَا غَرْبٍ سَمِعَتْ بِمَخْرَجِي هَذَا أَوْ لَمْ تَسْمَعْ إِلَّا وَهِيَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِي، إِنَّ اللهَ بَعَثَكَ إِلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ كَافَّةً، فَآمَنَّا بِكَ وَبِإِلَهِكَ، وَإِنَّا مَعْشَرَ النِّسَاءِ مَحْصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ قَوَاعِدُ بُيُوتِكُمْ وَمَفْضَى شَهَوَاتِكُمْ، وَحَامِلَاتُ أَوْلَادِكُمْ، وَإِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الرِّجَالِ فُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْجُمَعِ، وَالْجَمَاعَاتِ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ، وَالْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا خَرَجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ مُرَابِطًا حَفِظْنَا لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ، وَغَزَلْنَا لَكُمْ أَثْوَابَكُمْ، وَرَبَّيْنَا لَكُمْ أَوْلَادَكُمْ، فَمَا نُشَارِكُكُمْ فِي الْأَجْرِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ كُلِّهِ ثُمَّ قَالَ: «هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ فِي مَسْأَلَتِهَا عَنْ أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا ظَنَنَّا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِي إِلَى مِثْلِ هَذَا، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «انْصَرِفِي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، وَأَعْلِمِي مَنْ خَلْفَكِ مِنَ النِّسَاءِ،أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ[1] إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا وَطَلَبَهَا مَرْضَاتَهُ،

[1] «إِذَا أَحْسَنْتُنَّ تَبَعُّلَ أَزْوَاجِكُنّ» أَيْ مُصاحَبَتَهم فِي الزوْجيَّة وَالْعِشْرَةِ. والبَعْل الزَّوْجُ، وَيُجْمَعُ عَلَى بُعُولَة. (النهاية:١/١٤١).

وَاتِّبَاعَهَا مُوَافَقَتَهُ تَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ» قَالَ: فَأَدْبَرَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ اسْتِبْشَارًا "[1].

نشأتها

نشأت في أسرة عُرف أفرادها بالتضحية والجهاد.

فأبوها هو: **يَزِيدَ بن السَّكَن بِنْ رَافِع الْأَنْصَارِيَّ**، الذي اُستشهد يوم أحد، كما استُشهد أيضًا في المعركة ذاتها أخوها عامر بن يزيد، الذي جعل جسده درعًا يدافع به عن رسول صلى الله عليه وسلم، فنال الشهادة في سبيل الله[2].

---

[1] معرفة الصحابة:٦/٣٢٦٠،٣٢٥٩. واخرجه أيضا البيهقى فى شعب الإيمان: ١١/١٧٨،١٧٧ /٨٣٦٩ قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو زكريا بن أبي إسحاق، وأبو بكر بن الحسن القاضي، قالوا: " أنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال: قرئ على العباس بن الوليد وأنا أسمع ...به" وفى إسناد أبى نعيم: عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْمَقْدِسِيُّ، وأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُدْرِكٍ لم أقف لهما على ترجمة فيما اطلعت عليه من المراجع، وأَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ يُوسُفَ الْمَعْقِلِيُّ الْأَصَمُّ نَيْسَابُورِيٌّ لم أجد فيه جرحا ولا تعديلا إلا ما ذكره أبو يعلى الخليلى فى الإرشاد قال: سَمِعْتُ الْحَاكِمَ يَذْكُرُ فَضْلَهُ وَزَكَّاهُ، تُوُفِّيَ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ، وَكَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ بَعْدَ الثَّلَاثِمِائَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ، رَوَى عَنْهُ مِثْلُ: أَبِي عَلِيٍّ الْحَافِظِ وَأَبِي أَحْمَدَ الْكَرَابِيسِيِّ، وَأَقْرَانِهِمَا، وَأَدْخَلَهُ الْحَاكِمُ فِي الصَّحِيحِ (الإرشاد في معرفة علماء الحديث:٣/٨٥٥،٨٥٦).

[2] ترجم له ابن عبد البر لأبيها قال فيها: هو أَبُو أسماء بنت يَزِيد بْن السكن التي تحدث عَنْ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قتل يوم أحد شهيدًا، وقتل معه ابنه عامر بْن يَزِيد رضي اللَّه عنهما.الاستيعاب:٤/١٥٧٦

شجاعتها في الجهاد

أثرت نشأتها فى تلك الأسرة التى عرف أفرادها بالتضحية فى سخصيتها ، وقوت عزمها، ودفعتها إلى خوض المعارك بعزيمة قوية، وهمة عالية، فشهدت غزوة الخندق وغزوة خيبر، وخرجت رضي الله عنها مع النبي عليه الصلاة والسلام إلى بلاد الشام، حيث شاركت في معركة اليرموك، وكانت تشارك مع النساء سقاية الظمأى وتضميد الجرحى، ومن قصص شجاعتها فى هذه المعركة أنها لما اشتدت الحرب أنها اقتلعت عامود خيمتها وانغمرت في الصفوف وراحت تذُك وتضرب به رءوس جنود الروم حتى قتلت يومها تسعة من جنود الروم[١].

قال ابن سعد: وَقَدْ شَهِدَتْ أُمُّ عَامِرٍ الأَشْهَلِيَّةُ خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم[٢].

مهارة التزيين (التجميل)

لم تكن شجاعة وفصيحة فقط، ولكنها أيضا كانت لديها خبرة ببعض الأمور التى تخص النساء فقد كان لها دراية بكيفية تزيين النساء، لتُبَرهِن بذلك على أن المرأة فى عصر النبوة كان لها اسهامات متعددة فى كل ما يهم مجتمعها وما يحتاج إليه بنى جنسها، وأن المجتمع فى عصر النبوة لم يكن منغلقا يحرم المتعة والتزين والأخذ بأسباب السعادة والبهجة فى المناسبات المختلفة من أفراح وأعياد، وأن الإسلام لم يجعل المرأة حبيسة

---

[١] الأعلام للزركلى:١/٣٠٦

[٢] الطبقات الكبرى:٨/٢٤٥،٢٤٤

المنزل أسيرة الزوج بل أعطاها الحرية فى المشاركة فى المناسبات وممارسة المهارات ولكن بما لا يتعارض مع حدود الشرع .

فمن اسهاماتها فى ذلك المجال، فقد ورد أنها زينت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها يوم زفافها إلى رسول الله، صلي الله عليه وسلم، فقد روى الإمام أحمد قال:

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي حُسَيْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ، أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ، إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ طَعَامًا، فَقَالَ: " لَا أَشْتَهِيهِ "، فَقَالَتْ: إِنِّي قَيَّنْتُ[1]عَائِشَةَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ جِئْتُهُ، فَدَعَوْتُهُ لِجِلْوَتِهَا[2]، فَجَاءَ، فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهَا، فَأُتِيَ

بِعُسِّ[3] لَبَنٍ، فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَفَضَتْ رَأْسَهَا وَاسْتَحْيَتْ. قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَانْتَهَرْتُهَا وَقُلْتُ لَهَا: خُذِي مِنْ يَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: فَأَخَذَتْ، فَشَرِبَتْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَعْطِي تِرْبَكِ " قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلْ خُذْهُ، فَاشْرَبْ مِنْهُ، ثُمَّ نَاوِلْنِيهِ مِنْ يَدِكَ، فَأَخَذَهُ، فَشَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ نَاوَلَنِيهِ، قَالَتْ: فَجَلَسْتُ، ثُمَّ وَضَعْتُهُ عَلَى رُكْبَتِي، ثُمَّ طَفِقْتُ أُدِيرُهُ، وَأَتْبَعُهُ بِشَفَتَيَّ لِأُصِيبَ مِنْهُ مَشْرَبَ

---

(١) تُقَيَّن: أَيْ تُزَيَّن لِزِفَافِهَا. والتَّقْيين: التَّزيين. (النهاية:٤/١٣٥)

(٢) (جَلَوَ) الْجِيمُ وَاللَّامُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَقِيَاسٌ مُطَّرِدٌ، وَهُوَ انْكِشَافُ الشَّيْءِ وَبُرُوزُهُ. يُقَالُ جَلَوْتُ الْعَرُوسَ جَلْوَةً وَجَلَاءً، وَجَلَوْتُ السَّيْفَ جَلَاءً. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: السَّمَاءُ جَلْوَاءُ أَيْ مُصْحِيَةٌ. وَيُقَالُ تَجَلَّى الشَّيْءُ، إِذَا انْكَشَفَ. وَرَجُلٌ أَجْلَى، إِذَا ذَهَبَ شَعْرُ مُقَدَّمِ رَأْسِهِ، وَهُوَ الْجَلَا. قَالَ: (مقاييس اللغة:١/٤٦٨).

(٣) العُسّ:القَدَح الْكَبِيرُ، وجمعُه: عِسَاس وأَعْسَاس.(النهاية:٣/٢٣٦).

النَّبِـيّ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، ثُـمَّ قَـالَ لِنِسْـوَةٍ عِنْـدِي: " نَـاوِلِيهِنَّ " فَقُلْـنَ: لَا نَشْتَهِيهِ، فَقَالَ النَّبِـيُّ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَجْمَعْنَ جُوعًا وَكَـذِبًا " فَهَلْ أَنْتَ مُنْتَهٍ أَنْ تَقُولَ : لَا أَشْتَهِيهِ؟ فَقُلْتُ: أَيْ أُمَّهْ، لَا أَعُودُ أَبَدًا(١).

مناقبها:

كانـت أسماء رضـى الله عنهـا أول معتـدة فـى الإسـلام فقد كرمهـا الله سـبحانه وتعـالى وأنـزل فيهـا آيـة العـدة، وأصـبحت العـدة شـرعا للمـرأة فـى الإسلام، أخرج أبو داود والبيهقي في سننهما عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ الْأَنْصَارِيَّةِ، " أَنَّهَا طُلِّقَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُطَلَّقَةِ عِدَّةٌ فَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ حِينَ طُلِّقَتْ أَسْمَاءُ بِالْعِدَّةِ لِلطَّلَاقِ فَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ أُنْزِلَ فِيهَا الْعِدَّةُ لِلطَّلَاقِ "(٢).

---

(١)أخرجـه أحمد:٢٧٥٩١/٥٧/٤٥ وذكره الهيثمـى فـى مجمـع الزوائـد: كتـاب الصـيد والذبائح، بـاب مـا يجرى فـى الوليمـة: ٥١/٤ وقـال: شَـهْرٌ فِيـهِ كَـلَامٌ، وَحَدِيثُـهُ حَسَنٌ. وشَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ وثقه ابن معين وابن المدينى والعجلى ، وضـعفه الحـاكم والدارقطنى والبيهقى وغيرهم ، وقال عنـه ابن حجر صدوق كثير الإرسال والأوهام (التهذيب:٤ /٣٦٩-٣٧٢، التقريب:١١٢/٣٥٥/١)

(٢) أخرجـه أبـو داود لفـى: كتـاب الطـلاق، بـاب فـى عدة المطلقة:٢٢٨١/٢٨٥/٢. قـال: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْبَهْرَانِيُّ، نا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ، نا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُهَاجِرٍ، عَنْ أَبِيه عَنهْا رضـى الله عنهـا. وقـال والبيهقـى فـى السنن الكبرى: كتاب العدد، باب سبب نزول الآية في العدة:١٥٣٧٨/٦٨٠/٧.

وسُـلَيْمَانُ بـنُ عَبْـدِ الحَمِيْـدِ البَهْرَانِـي، قَـالَ عنـه أبـو حَـاتِم صَـدُوق(الجـرح والتعديل:٥٦٧/١٣٠/٤). وقـال الـذهبى: ضُـعف(الكاشـف:٤٦١،٤٦٢/١ / ٣١٠٨ وقال فـى المغنى:صـ٢٦٠٢/٢٨١ كذبه النَّسَائِيّ وَقَبله غَيره وَقَالَ ابو حَاتِم صَدُوق. ويراجـع أيضـا. (تـاريخ الإسـلام:٢٤٦/٣٣٩/٦). ولـم أجـده فـى الضـعفاء والمتروكين ==

روايتها للحديث

رَوَتْ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جُمْلَةَ أَحَادِيْثَ. تقدر بحوالى ٨١ حديثا.

==

للنسائى. ويَحْيَى بْنُ صَالِحٍ الْوُحَاظِيُّ الْحِمْصِي، قال عَبد اللَّهِ بْن أَحْمَد بْن حنبل : سَأَلتُ أبي عن يحيى ابن صَالِح الوحاظي، فَقَالَ: رأيته فِي جنازة أَبِي المغيرة، فجعل أَبِي يضعفه. وقال أبو زرعة الدمشقي قال قلت ليحيى بن معين ما تقول في يحيى بن صالح الوحاظى فقال: ثقة. وقال أبو حاتم:: صدوق ، وذكره ابن حبان فى الثقات، وقال العقيلي: يَحْيَى ابن صَالِح حمصي جهمي. يراجع: (تاريخ أبى زرعة:صـ٤٦٢، الجرح والتعديل:٦٥٧/١٥٨/٩، الثقات:١٦٣٢١/٢٦٠/٦ و تهذيب الكمال:٦٨٤٦/٣٨١.٣٧٥/٣١)

وإِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشِ هو: بْنِ سُلَيْمٍ، أَبُو عُتْبَةَ الْعَنْسِيُّ، ، الْحِمْصِيُّ قال ابن معين: ثقة قال البخارى: ما روى عن الشاميين فهو أصح. قال النسائى: ضعيف عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول سألت أحمد بن حنبل عن إسماعيل بن عياش فقال: في روايته عن أهل العراق وأهل الحجاز بعض الشئ وروايته عن أهل الشام كأنه أثبت وأصح، وقال أيضا: ليس أحد أروى لحديث الشاميين من إِسْمَاعِيل بْن عياش، والوليد بْن مسلم، وقال ابن عدى: حديثه عن الشاميين إذا = روى عنه ثقة فهو مستقيم. يراجع: (تاريخ ابن معين رواية الدورى:٤/٤١٤/٥٠٣ ، والجرح والتعديل:٢ /١٩١/٦٥٠ التاريخ الكبير:١/٣٦٩/١١٦٩تهذيب الكمال:٣/١٦٣/٤٧٢).

فروايته عن الشاميين مقبولة وقد روى عَمْرُو بْنُ مُهَاجِرٍ ، هو عَمْرو بن مهاجر بن أَبي مسلم ، واسمه دينار، الأَنْصارِيّ، أَبُو عُبَيد الدمشقي، أخو مُحَمَّد بْن مهاجر مولى أسماء بنت يزيد الأَنْصارِيّة، ثقة (تهذيب الكمال:٢٢/٢٥٢/٤٤٥٦ ، والتقريب:٢/٧٩/٦٨٨).

فالحديث بهذا الإسناد يمكن القول بأنه ضعيف من أجل (سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ الحَمِيْدِ البَهْرَانِي) لأن سند البيهقى فيه أيضاسليمان بن عبد الحميد.

حَدَّثَ عَنْهَا: مَوْلاَهَا مُهَاجِرٌ وَشَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ وُمُجَاهِدٌ وإسحاق ابن رَاشِدٍ وَابْنُ أُخْتِهَا مَحْمُوْدُ بنُ عَمْرٍو وَآخَرُوْنَ[١].

روى لها الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة[٢]

ولها في البخارى حديثان[٣]

وفاتها

توفيت في حدود السبعين من الهجرة.

قال الذهبى: عاشت إلى دولة يزيد بن معاوية: سَكَنَتْ دِمَشْقَ وَقَبْرُ أُمِّ سَلَمَةَ الَّذِي بِمَقْبَرَةِ البَابِ الصَّغِيْرِ هُوَ قَبْرُهَا إِنْ شَاءَ اللهُ[٤].

قد توفيت ولكن تبقى أعمالها نورًا ونبراسًا لمن اهتدى من النساء في وسط الظلام البهيم في زماننا.

---

[١] سير أعلام النبلاء:٣/٥٢٥/١٤٩.

[٢] الوافى بالوفيات:٩/٣٤.

[٣] الأعلام: صـ١/٣٠٦ .

[٤] سير أعلام النبلاء:٣/٥٢٥/١٤٩.

المبحث السادس

أول ممرضة فى الإسلام

تعتبر مهنة التمريض من أقدم المهن فى حياة الشعوب حيث يقال إن الحاجة أم الاختراع وما دام هناك بشر لابد من الحاجة إلى التداوى، وكان العرب قبل الإسلام شأنهم شأن غيرهم من الأمم كان يوجد عندهم من يقوم بمزاولة هذه المهنة ، وكان من يزاول هذه المهنة يعتمد على المتوارث عليه من الطب الشعبى ، وامتدادا لذلك فقد كان لمهنة التمريض تواجد بعد ظهور الإسلام ، ولكن الجدير بالذكر أن الذى قام بهذا الدور فى هذه الفترة إمرأة، فقد سمح النبى صلى الله عليه وسلم للمرأة أن تشارك فى العمل العام، ورخص لها بالقيام بخدمة المجتمع، فبرزت فى هذا المجال إمرأة وهى:

رُفَيْدَةُ الأَنْصَارِية أو الأَسْلمية، وقيل اسمها كُعَيْبَةُ بِنْتُ سَعْدٍ الْأَسْلَمِيَّةُ كما سماها ابن سعد،. بايعت بعد الهجرة وهي التي كان لها في المسجد خيمة تداوي المرضى والجرحى [1]

وُلدت رُفيدة رضى الله عنها على الأرجح في المدينة_المنورة في قبيلة أسلم، وعاشت هناك حتى هاجر النبي وأصحابه من المهاجرين إلى المدينة، فأسلمت وبايعت النبي وسلم صلى الله عليه بعد الهجرة .وشاركت في الغزوات في العصر_النبوي، تعد رفيدة بنت سعد هي أول امرأة عملت ممرضة في التاريخ العربي والإسلامي، ولم تكن الوحيدة بل شاركتها فى ذلك الشفاء بنت عبد الله ، وغيرها ولكن أشتهرت رفيدة بذلك لتفوقها فيه، ولذلك اختارها النبى صلى الله عليه وسلم وأمر لها بخيمة متنقلة أثناء المعارك.

---

[1] الطبقات الكبرى:٨/٢٢٦/٤٢٤٢ ، والتهذيب:١٢/٤١٨/٢٧١٩

حيث كانت تخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوات لتمريض الجرحى والمرضى، وصفها ابن حجر قال: وكانت امرأة تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين(١).

أقيمت لها خيمة فى المسجد النبوى، فعندما أصيب سعد بن معاذ بسهم فى غزوة الخندق أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة أن يُحولوه إلى خيمة رفيدة، وكان النبي يمر على خيمتها فيتفقد الجرحى ويتفقد حال سعد، أخرج الشيخان عَنْ عَائِشَةَ رَضِى الله عَنْها، قَالَتْ: " أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْعَرِقَةِ رَمَاهُ فِي الْأَكْحَلِ(٢)، فَضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ يَعُودُهُ مِنْ قَرِيبٍ،...الحديث"(٣)

وقد كانت خيمة رفيدة في المسجد، قال ابن الأثير: وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أصاب سعدا السهم بالخندق، قال لقومه: " اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب ". وكانت امرأة من أسلم، في مسجده، فكانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمر به فيقول: " كيف

---

(١) الإصابة:٨/١٣٥/١١١٨١

(٢) الأَكْحَلُ: عِرْق فِي وَسَطِ الذِّرَاعِ (النهاية:٤/١٥٤).

(٣) أخرجه البخارى، كتاب المغازى، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم:٥/١١٢/٤١٢٢ ومسلم كتاب الجهاد والسير، بَابُ جَوَازِ قِتَالِ مَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ، وَجَوَازِ إِنْزَالِ أَهْلِ الْحِصْنِ عَلَى حُكْمِ حَاكِمٍ عَدْلٍ أَهْلٍ لِلْحُكْمِ: ٣/١٣٨٨/٦٥.

أمسيت وكيف أصبحت؟ " فيخبره[١].وقال ابن حجر: لما أن أصيب أكحل سعد بن معاذ يوم الخندق فثقل حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحى[٢].

أثرها فى الفقه الإسلامى:

كان لمسيرة رفيدة فى مجال الطب والتمريض أثر فى الفقه الإسلامى حيث أن حياة المسلم كلها مرتبطة بشريعته، وكل تصرفاته لابد وأن تكون منضبطة بضوابطها، ولما حدد الإسلام طبيعة المعاملات والعلاقات بين الرجل والمرأة، واحاطها بسياج من التحفظ والتعفف.

ومهنة التمريض من المهن التى تستدعى لمن يمارسها نوع من القرب والملامسة لبعض أعضاء المريض ، وهذا ما يمنعه الشرع فى العلاقة بين الرجل والمرأة إلا فى إطار المحارم، ولما كانت الضرورة تستوجب قيام المرأة بهذه المهمة إذا لم يتاح غيرها استنبط العلماء من خلال قصة رفيدة قديما وحديثا عددا من الأحكام الفقهية، منها جواز تَطْبِيْب المرأة للرجل قال ابن حجر:" فيه جواز معالجة المرأة الأجنبية الرجل الأجنبي للضرورة [٣].

وخص ابن بطال ذلك بذوات المحارم ثم المتجالات[٤] منهن، قال: فإن قيل: كيف جاز أن يباشر النساء الجرحى وهم غير ذوى محارم منهن؟ فالجواب: أنه يجوز ذلك للمتجالات منهن؛ لأن موضع الجرح لا يلتذ بلمسه،

---

[١] أسد الغابة:٧/١١١/٦٩٢٥.

[٢] الإصابة:٨/١٣٥/١١١٨١

[٣] فتح البارى:٦/٨٠

[٤] متجلّية: أى منكشفة (كشاف إصطلاحات الظنون والفنون:٢/١٧٣١).

بل تقشعر منه الجلود، وتهابه النفوس، ولمسه عذاب للامس والملموس، وأما غير المتجالات منهن فيعالجن الجرحى بغير مباشرة منهن لهم، بأن يصنعن الدواء ويضعه غيرهن على الجرح، ولا يمسسن شيئًا من جسده[١].

كما استدل الفقهاء خاصة المُعاصرين بخيمة رفيدة الطبية بالمسجد النبوي كدليل على جواز تحويل المسجد إلى مستشفى في أوقات الضرورة. وفي أبريل 2020 أفتى الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين علي محي الدين القره داغي بجواز تحويل أجزاء من المساجد إلى «مستشفيات مؤقتة » لعلاج المصابين بمرض(فيروس كورونا ٢٠١٩) اختصارًا كوفيد-١٩، وأشار إلى أن "الصحابية رفيدة كان لها خيمة داخل المسجد لعلاج الجرحى.[2]"

أول مستشفى إسلامي حربي:

قد كانت رفيدة أساسا لإنشاء أول مستشفى إسلامي حربي فى الإسلام، قال الدكتور على محمد الصلابى: ففي غزوة الأحزاب, ضرب الرسول صلوات الله وسلامه عليه خيمة في مسجده الشريف في المدينة، عندما دارت رحى غزوة الأحزاب, فأمر صلى الله عليه وسلم أن تكون رفيدة الأسلمية الأنصارية رئيسة ذلك المستشفى النبوي الحربي، وبذلك أصبحت أول

---

[١] شرح صحيح البخارى لابن بطال:٥/٨٠

[2]الأمين العام لعلماء المسلمين يطالب بتحويل المساجد لمستشفيات لعلاج مصابى كرونا فى . وكالة أنباء سرايا الإخبارية . مؤرشف من الأصل فى ٢٣يوليو٢٠٢٠ فتوى بتحويل المساجد إلى مستشفيات لإنقاذ ضحايا كورونا. منتدى العلماء ٢٠٢٠/٤/١٣. مؤرشف من الأصل فى ٢٨يونيو ٢٠٢٠

ممرضة عسكرية في الإسلام . وجاء في السيرة النبوية لابن هشام: وكان صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم، يقال لها رفيدة، في مسجده، كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من به ضيعة من المسلمين[1]. وكان صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصاب سعد بن معاذ السهم بالخندق: «اجعلوه في خيمة رفيدة، حتى أعوده من قريب».

ويفهم من النص السابق أن من أصيب من المسلمين إن كان له أهل اعتنى به أهله، وإن لم يكن له أهل، جيء به إلى المسجد حيث ضربت خيمة فيه لمن كانت به ضيعة من المسلمين، وسعد بن معاذ الأوسي، ليس به ضيعة، ولكن لما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم الاطمئنان عليه باستمرار، جعله في تلك الخيمة التي أعدت لمن به ضيعة وليس له أهل، ذلك أن هؤلاء هم في رعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم, وإلا فلم ضربت الخيمة في المسجد، وكان بالإمكان ضربها في أي مكان آخر؟[2].

ومن خلال قصة رفيدة الأسلمية أود إلى أن أنبه إلى أنه من العيب أن يكون لدينا هذ التراث الذى يكرم المرأة ويثمن مجهوداتها، ويفتح أمامها أفاق العمل والسعى فى شتى المجالات ولا نسلط عليه الضوء، ونبرزه فى صورة واضحة وجلية أمام العالم كله ونفاخر به ولا نترك كل مغرض وكل معتل النفس مريض القلب حاقد على المسلمين يبث سمومه فى عقول بناتنا ويرسخ

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام:٢/٢٣٩

(2) ينظر: السِّيرةُ النّبوية – عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث: صـ٦١٦
ويراجع أيضا المستشفيات الإسلامية، الدكتور عبد الله السعيد، ص٤٣.

فى أذهانهن أن الإسلام هضم حقوقهن ويدفهن دفعا إلى ما يسميه بعالم التحرر، وما هو إلا زيف وأكذوبة يقع فيها ضعيفات النفوس، هشات العقيدة الآتى لم يتطلعن على تراثهن، فيقفن على عظمة الإسلام فى حفاظه على حقوقهن، وحمايته لكرماتهن، بما لا يوجد له نظير فى حضارتهم ولا شرائعهم وقوانينهم.

المبحث السابع

الشاعرة الصابرة الشجاعة

صَفِيَّةَ بِنْت عَبْد الْمُطَّلِبِ

السخصية التى سنعرض سيرتها هى فارسة مغوارة أظهرت في ساحة القتال دفاعاً عن الدين والوطن والكرامة كل صنوف الشجاعة وصور الكفاح المشرف، فحفرت اسمها في قائمة النساء المسلمات اللائي يعتز بهن الإسلام ويفخر بهن تاريخه الحافل بالعطاء والتضحيات.

لم تكن مثل كثير من النساء تنشغل بمتاع الدنيا الزائل ولا بوسائل رفاهيتها الفانية، بل كانت عينها على الدار الآخرة بما أعد الله فيها لعباده الصادقين المخلصين من نعيم دائم، خاصة هؤلاء المجاهدين الشرفاء الذين يقدمون أرواحهم وأموالهم لنصرة دينه هى:

صَفِيَّةَ بِنْت عَبْد الْمُطَّلِبِ بْن هَاشِمِ بْن عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ. أُمُّهَا هَالَةُ بِنْتُ وُهَيْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ابنة عم آمنة بنت وهب [1]. بن زهرة بن كلاب. وهي أخت حمزة بن عبد المطلب لأمه. كان تزوجها في الجاهلية الحارث بْن حرب بْن أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بن قصي فولدت له صفية

[1] الطبقات الكبرى: ٣٤/٨، وأسد الغابة: ١٧١/٧. وقال ابن حجر: بنت وهب خالة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحيح ما ذكره ابن سعد وابن الأثير: أنها بنت وهيب ابنة عم آمنة لأنه لايعقل أن يتزوج عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم أخت أمه لأن حمزة أخو عبد الله وصفية أخت حمزة وعبد الله، وأم عبد الله وحمزة واحدة فلو كانت هالة أخت آمنة لكان عبد الله تزوج خالته.

رجلا. ثم خلف عليها الْعَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قصي فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة.

أسلمت صفية وبايعت رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وهاجرت إلى المدينة، فهى من المهاجرات الأول. لم يختلف فى إسلامها من عمات النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

قال ابن الأثير: لم يختلف في إسلامها من عمات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واختلف في عاتكة وأروى، والصحيح أنه لم يسلم غيرها. عاشت كثيرا، وتوفيت سنة عشرين في خلافة عمر بن الخطاب، ولها ثلاث وسبعون سنة، ودفنت بالبقيع[٢].

فالحديث عنها له خصوصية، حيث أنه يربطها بالنبى صلى الله عليه وسلم نسب قوى، فهى عمته، والدها عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم، ووالدتها هالة بنت وهيب بن عبد مناف ابنة عم آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم، وأخوها أسد الإسلام حمزة بن عبد المطلب، وابها الزبير بن العوام حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سل سيفا فى الإسلام كان من السابقين إلى الإسلام فقد كَانَ إِسْلامُ الزُّبَيْرِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ. كَانَ رَابِعًا أَوْ خَامِسًا، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَهَاجَرَ الزُّبَيْرُ إِلَى

---

[١] المصدر السابق، وأسد الغابة:٧/١٧١/٧٠٧٦

[٢] أسد الغابة:٧/١٧١/٧٠٦٧.

أَرْضِ الْحَبَشَةِ الْهِجْرَتَيْنِ جَمِيعًا[١]. وَثَبَتَ مَعَهُ يَوْمَ أُحُدٍ. وَبَايَعَهُ عَلَى الْمَوْتِ. وَكَانَتْ مَعَ الزُّبَيْرِ إِحْدَى رَايَاتِ الْمُهَاجِرِينَ الثَّلاثِ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ[٢].

مَنَاقِبِ صَفِيَّةَ رَضِيَ عَنْهَا:

١ـ من مناقبها أنها كان عشرة من محارمها من المهاجرين الأوائل، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ قَالَ: كَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا تُغَطِّي رَأْسَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَلَا مِنْ عَشَرَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ: حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَخُوهَا، وَجَعْفَرٌ وَعَلِيٌّ ابْنَا أَبِي طَالِبٍ ابْنَا أَخِيهَا، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ابْنُهَا، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ابْنُ ابْنَةِ أَخِيهَا، أَمُّهُ أَرْوَى بِنْتُ كُرَيْزٍ، وَأُمُّهَا الْبَيْضَاءُ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ وَأَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُهْمٍ ابْنَا أُخْتِهَا بَرَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأُمِّ طُلَيْبِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ بْنِ قُصَيٍّ: أَرْوَى بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأُمُّ عَبْدِ اللَّهِ. وَأَبِي أَحْمَدَ الْأَعْمَى الشَّاعِرِ اسْمُهُ عَبْدُ بْنُ جَحْشِ بْنِ رِئَابِ بْنِ يَعْمَرَ بْنِ صَبْرَةَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَثِيرِ بْنِ غَنْمِ بْنِ وَرْدَانَ بْنِ أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ[٣].

٢ـ كان لها مكانة خاصة فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم، فعندما أنزل عليه الله سبحانه وتعالى الأمر بأن ينذر عشيرته الأقربين، جمعها مع ابنته فاطمة، وخصها بالذكر مع ابنته، ولم يذكر أحداًغيرها من عشيرته.

---

[١] الطبقات الكبرى:٣/٧٥.

[٢] المرجع السابق:٣/٧٧.

[٣] مجمع الزوائد، كتاب المناقب، باب مناقب صفية:٩/٢٥٥/١٥٣٩٤+

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}[١] قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ»[٢].

٣ـ ثباتها عند مصرع أخيها حمزة رضي الله عنه، فقد كانت رابطة الجأش قوية صابرة ، لم تخُرْ عزيمتها رغم أنها كانت تحمل له حباً وتقديراً خاصاً له ، روى ابن الأثير عن يوم أحد وقتل حمزة، قال: فاقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزة بأحد، وكان أخاها لأمها([٣]) فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابنها الزبير: " القها فارجعها لا ترى ما بأخيها ". فلقيها الزبير، وقال: أي أمه إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرك أن ترجعي. قالت: ولم، فقد بلغني أن مثل بأخي، وذاك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأصبرن ولأحتسبن إن شاء الله. فلما جاء الزبير إليه فأخبره قول صفية، قال:" خل سبيلها ". فأتته فنظرت إليه واسترجعت، واستغفرت له ثم أمر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدفن[٤]

---

[١] سورة الشعراء: آية ٢١٤.

[٢] أخرجه مسلم فى:كتاب الإيمان، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]:١/١٩٢/٣٥٢

[٣] ( ) هذا خطأ كيف يكون حمزة أخاها لأمها ، وهى صفية بنت بد المطلب ، وهو حمزة بن عبد الطلب.

[٤] أسد الغابة: ٦/١٧٣.

قتال بالرمح والسيف

كانت صفية تخرج إلى ساحات القتال تسقي المجاهدين وتداويهم وتحمل معها السيف عندما يحتم عليها المشهد ذلك، وموقفها في غزوة أحد لا ينسى ويتناقله المؤرخون للغزوات والفتوحات الإسلامية

قال ابن سعد: أَخْبَرَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدِ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَاءَتْ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَدِ انْهَزَمَ النَّاسُ وَبِيَدِهَا رُمْحٌ تَضْرِبُ فِي وُجُوهِ النَّاسِ وَتَقُولُ: انْهَزَمْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ! فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: يَا زُبَيْرُ الْمَرْأَةَ. وَكَانَ حَمْزَةُ قَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ فَكَرِهَ رَسُول اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنْ تَرَاهُ. وَكَانَتْ أُخْتَهُ. فَقَالَ الزُّبَيْرُ: يَا أُمَّهْ إِلَيْكِ إِلَيْكِ. فَقَالَتْ: تَنَحَّ لا أُمَّ لَكَ. فَجَاءَتْ فَنَظَرَتْ إِلَى حَمْزَةَ[1].

قصة قتلها اليهودى:

يحرص بعض كتاب السير قديما وحديثاًعلى التأكيد على أن صفية رضى الله عنها أول إمرأة قتلت رجلاً من المشركين ، واستندوا إلى خبر رواه ابن اسحاق ونقله عنه بعض المصنفين منهم:

ابن هشام فقد روى عنه قال: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عَبَّادٍ قَالَ: كَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي فَارِعٍ، حِصْنُ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَتْ: وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ[2] مَعَنَا فِيهِ،

---

[1] الطبقات الكبرى: ٣٤/٨.

[2] حسّان بن ثَابِت بن المُنْذر بن حَرَام بْن عَمرو بن زيد بن عديّ بن عمرو بن مالك بن النّجار الأنصاريّ الخزرجيّ ثم النجاريّ، شاعر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. (الإصابة:١٧٠٩/٥٥/٢)

مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ. قَالَتْ صَفِيَّةُ، فَمَرَّ بِنَا رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ، فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْحِصْنِ، وَقَدْ حَارَبَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، وَقَطَعَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَحَدٌ يَدْفَعُ عَنَّا، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ فِي نُحُورِ عَدُوِّهِمْ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُمْ إِلَيْنَا إِنْ أَتَانَا آتٍ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا حَسَّانُ، إِنَّ هَذَا الْيَهُودِيَّ كَمَا تَرَى يُطِيفُ بِالْحِصْنِ، وَإِنِّي وَاَللَّهِ مَا آمَنُهُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى عَوْرَتِنَا مَنْ وَرَاءَنَا مِنْ يَهُودَ، وَقَدْ شُغِلَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، فَانْزِلْ إِلَيْهِ فَاقْتُلْهُ، قَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا بْنَةَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاَللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ مَا أَنَا بِصَاحِبِ هَذَا: قَالَتْ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ، وَلَمْ أَرَ نْدَهُ

شَيْئًا، احْتَجَزْتُ ثُمَّ أَخَذْتُ عَمُودًا، ثُمَّ نَزَلْتُ مِنْ الْحِصْنِ إِلَيْهِ، فَضَرَبْتُهُ بِالْعَمُودِ حَتَّى قَتَلْتُهُ. قَالَتْ: فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْهُ، رَجَعْتُ إِلَى الْحِصْنِ، فَقُلْتُ: يَا حَسَّانُ، انْزِلْ إِلَيْهِ فَاسْلُبْهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي مِنْ سَلَبِهِ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ، قَالَ: مَا لِي بِسَلَبِهِ مِنْ حَاجَة يَا بنت عَبْدِ الْمُطَّلِبِ[1] .

وهذا الخبر رغم أن كثير من العلماء نقله ولم يعقب عليه يجب التوقف عنده ، لأن يشتمل على عدة نقاط لابد من توضيحها

أولاً: طلب صفية رضى الله عنها من حسان رضى الله عنه أن يقتل اليهودى، ورفضه ذلك يظهر حسان بصفة المتخاذل عن حماية النساء، وهذا لا يليق بصحابى جليل مثل حسان بن ثابت.

[1] السيرة النبوية لابن هشام:٢/٢٢٨

ثانيـا: أن بعضـهم ذكـر أن هـذه القصـة حـدثت فـى غـزوة الخنـدق،[١] وبعضهم ذكر أنها كانت فى غزوة أحد[٢]، بل منهم من تردد بين كونها فى الخندق أو أحد هو أبو نعيم فى معرفة الصحابة، قال: عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَتْ:" لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُحُدٍ، أَوِ الْخَنْدَقِ جَعَلَ نِسَاءَهُ فِي أُطُمٍ....الحديث"[٣]

ثالثا: أن الخبر ضعيف ، فهو منقطع عباد بن عبد الله بن الزبير لأم يسمع من صفية ، فلم أجد من ذكر أنه روى عنها ، فقد ذكر المزى أنه روى عن جدته أسماء بنت أبي بَكْر الصديق ، وأختها عَائِشَة أم المؤمنين ولم يشلر إلى أنه روى عن صفية رضى الله عنهن جميعا[٤]

وقد علق السهيلى على الخبر فى شرح سيرة ابن هشام قال: ومجمل هَذَا الحَدِيث عِنْد النَّاس على أَن حسان كَانَ جَبَانًا شَدِيد الْجُبْن. وَقد دفع هَذَا بعض الْعلمَاء وَأنْكرهُ، وَذَلِكَ أَنه حَدِيث مُنْقَطع الْإِسْنَاد، وَقَالَ: لَو صَحَّ هَذَا لهجي بِهِ حسان، فَإِنَّهُ كَانَ يهاجى الشُّعَرَاء كضرار وَابْن الزبعري وَغَيرهمَا، وَكَانُوا يناقضونه ويردون عَلَيْهِ، فَمَا عيره أحد مِنْهُم بجبن، وَلَا وسمه بِهِ، فَدلَّ هَذَا على ضعف حَدِيث ابْن إِسْحَاق، وَإِن صَحَّ فَلَعَلَّ حسان أَن يكون مُعْتَلًّا فِي ذَلِك الْيَوْم بعلة منعته من شُهُود الْقِتَال، وَهَذَا أولى مَا تَأَول عَلَيْهِ[٥].

---

[١] منهم: ابن الأثير فى أسد الغابة: ١٧١/٧، والذهبى فى (تاريخ الإسلام:١٩٢/١)، وفى (السير: ٤٦١/١)، وابن حجر فى(الإصابة: ٢١٤/٨)

[٢] ابن منده فى معرفة الصحابة: ٩٣٤/١. ، والزركلى فى الأعلام:٢٠٦/٣ .

[٣] معرفة الصحابة لأبى نعيم :٣٣٧٨/٦.

[٤] تهذيب الكمال:٣٠٨٦/١٣٦/١٤.

[٥] الروض الأنف:٢١٨،٢١٩/٦.

وإعلال السهيلى لمتن الحديث أجاب عنه الزرقانى فيما نقله عنه مصطفى السقا محقق الكتاب قال: « إن ابْن إِسْحَاق لم ينْفَرد بِهِ، بل جَاءَ بِسَنَد مُتَّصِل حسن كَمَا علم، فاعتضد حَدِيثه. وَقد قَالَ ابْن السراج: سكُوت الشُّعَرَاء عَن تعييره بذلك من أَعْلَام النُّبُوَّة، لِأَنَّهُ شاعره صلّى الله عَلَيْهِ وسلّم»([1]).

قلت نعم جاء الحديث من طريق موصول عن الزبير رضى الله عنه عن صفية رضى الله عنها

وهو الذى أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء، قال: "حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ كَيْسَانَ، ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي، ثنا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَرْوِيُّ، حَدَّثَتْنَا أُمُّ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهَا جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَتْ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُحُدٍ، أَوِ الْخَنْدَقِ جَعَل ...ذكره"[٢]

وذكره ابن منده أيضا موصولا ، قال: أخبرنا محمد بن سعد، وعلي بن محمد بن نصر، قالا: حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا إسحاق بن محمد الفروي، حدثتنا أم عروة بنت جعفر بن الزبير، عن أبيها، عن أبيه الزبير، عن جدتها صفية بنت عبد المطلب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى أحد...الحديث" وقال: غريب، لا يعرف إلا بهذا الإسناد[٣].

([1]) السيرة النبوية لابن هشام:٢/٢٢٨.

[٢] معرفة الصحابة لأبى نعيم: ٦/٣٢٥٠.

[٣] معرفة الصحابة لابن منده:١/٩٣٥،٩٣٤.

ومع احترامى لرأى الزرقانى بأن الحديث وإن كان قد ورد من طرق موصولة، ولكن فى متنه اضطراب، فكما سبق بيانه، أن بعضهم ذكر القصة فى غزوة أحد وبعضهم ذكرها فى الخندق، وبعضهم تردد فى كونها فى الخندق أو أحد.

شعرها:

قال عنها الزركلى: هى سيدة قرشية، شاعرة باسلة لها مراث رقيقة. وفي شعرها جودة[1].

لها شعر فى الفخر تفخر فيه على قريش ألا من مبلغ عني قريشاً ... ففيم الأمر فينا والإمار؟

لنا السلف المقدم قد علمتم ... ولم توقد لنا بالغدر نار

وكل مناقب الخيرات فينا ... وبعض الأمر منقصة وعار

وقالت فى بكاء أبيها:

أرقت لصوت نائحة بليلٍ ... على رجل بقارعة الصعيد

ففاضت عند ذلكم دموعي ... على خدي كمنحدر الفريد

وقالت ترثي الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم:

ألا يا رسول الله وكنت رجاءنا ... وكنت بنا براً ولم تك جافيا

وكنت رحيماً هادياً ومعلماً ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا

---

[1] الأعلام:٣/٢٠٦

قالت ترثي أخاها حمزة شهيد معركة أحد:

أسائل عن أصحاب أحدٍ مخافة ... بنات أبي من أعجمٍ وخبير

فقال الخبير إن حمزة قد ثوى ... وزير رسول الله خير وزير[١]

وفاتها:

توفيت فِي خلافة عُمَر بْن الْخَطَّابِ سنة عشرين، ولها ثلاث وسبعون سنة، ودفنت بالبقيع بفناء دار الْمُغِيرَة بْن شعبة[٢] .

[١] شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: صـ١١٥-١١٧.

[٢] الطبقات الكبرى:٨/٣٤. الاستيعاب:٤/١٨٧.

الخاتمة

الحمد لله الذى بفضله نتمتع ، وبعطائه نغنم، وبستره ورحمته نسلم وننعم، الحمد لله على كل ما وهب، ونحمده ونشكره أناء الليل وأطراف النهار حمدا يوافى نعمه، ويكافئ عطاءه ومدده.

وبعد:

فقد قصدت من وراء عرض سيرة هؤلاء النساء أن يكون مصدر إلهام لفتياتنا، فى زمن هن فى أمس الحاجة إلى من يأخذ بأيديهن إلى طريق الهداية، ويسلك بهن سبل الصلاح، فى زمن انشغل فيه كثير من أبنائنا وبناتنا بما مُلأ به العالم من مغريات وملهيات فاتسعت الهوة بينهم وبين سلفهم الصالح حتى كادت تنقطع بينهم العلاقة، فأحببت أن أقدم لبناتى وأخواتى جانبا من حياة هؤلأء العظيات الكريمات اللآتى يعتبرن فخر لكل من ينتسب إليهن، وأذكرهن بأن من كانت أمهاته وجداته بهذا الشموخ وتلك العظمة، فلابد أن يرتقى بأخلاقه ويسمو بفكره ليستحق أن ينتسب إليهن، فلعل بهذه التذكرة تعلو هممهن، وتُزكّي أخلاقهن، ويُلهب فيهن روح الجد والكفاح، وتخلق صلة إنسانية وثيقة بينهن، ويظل الرباط موصولا بينهن وبين جداتهن المجدات المكافحات فتبقى القدوة ماثلة فى الأذهان، فيعرفن قدرهن، ويقتفين أثرهن، ونسأل الله لأولادنا وبناتنا الهداية والصلاح والثبات على الاستقامة، إنه نعم المولى ونعم الوكيل.

ومما سبق نستطيع أن نستخلص النتائج الآتية:

١ـ أن الآثار الواردة فى السير لا يتوفر فى الكثير منها شروط القبول ، ومن هنا فالاعتماد فى النقل فيها يكون على ما ذكره مصنفوها وليس على

الأسانيد. ولكن مع ذلك يجب الحذر من الانسياق وراء العواطف أثناء سرد سيرة من السير، ويجب الانتباه إلى عدم ذكر ما لا يليق بسلفنا الصالح، ومراعاة الأصول المتبعة فى رواية الحديث، فبالرغم من أن الكلام فى السير وسرد الأحداث ليس من الأمور العقدية ولا يخص الأحكام الفقهية، ولكن لابد من الابتعاد عن الاستشهاد بما لا يصح الاستشهاد به من النصوص التى لا أصل لها والتى لا يليق ذكرها أثناء الحديث عن سلفنا الصالح، بل وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين هم قدوتنا ونبراسنا فى حياتنا رضى الله عنهم أجمعين. ومثال ذلك ما ذكر فى قصة صفية عمة النبى صلى الله عليه وسلم وحسان بن ثابت رضى الله عنهما[١].

٢ـ أنه يوجد أحينا فى كتب السير لبس فى نسب بعض التراجم، كما حدث فى ترجمة أسماء بنت يزيد بن السكن([٢])، وكما ذكر فى نسب أم صفية بنت عبد المطلب، وكذلك ما ذكره ابن الأثير من كون حزة بن عبد المطلب أخا صفية بنت عبد المطلب لأمها[٣]

٣ـ قد تضمنت السيرة النبوية مواقفا وأحداثا كثيرة تبرز حضور المرأة ودورها الفاعل في مجالات متعددة خدمة لدينها وأسرتها ومجتمعها وأمتها،

٤ـ إن المرأة عاشت في ظل هذا الدين، مكرمة ومتمتعة بكامل حقوقها تشارك أُمتها في تحقيق آمالها وتخفيف آلامها

---

[١] تقدمت صـ:٧١.

([٢]) تقدمت صـ٤٢

[٣]( ) تقدم صـ٥٣،٥١

التوصيات:

١. الدعوة إلى الاهتمام بالبحث والكتابة فى سير سلفنا الصالح رجال ونساء، والعرض المستمر لسيرتهم لتظل مآثرهم ماثلة فى وجدان أبنائنا، فيسيروا على نهجهم ويقتفوا أثرهم.

٢. على الباحثين فى السير والتاريخ بوجه عام والمتخصيين منهم فى السنة النبوية المطهرة بوجه خاص أن يتحققوا من النصوص التى احتوتها كتب التاريخ والسير ، وعدم الاعتماد عليها والاستشهاد بها بدون دراسة.

٣. إعمال العقل عند نقل الأحداث واستبعاد ما لا يصح ذكره أو الاستشهاد به من مواقف وبطولات.

٤. يمكن تكيلف بعض طلاب الدراسات العليا بعمل دراسة يجمع فيها ما ورد من نصوص فى بعض التراجم ومقارنتها ومناقشة ما ورد فى بعضها من اختلافات سواء فى زمن وقوع حدث، أو فى نسب لعلم من الأعلام.

وفى النهاية:

فهذا ما يسره الله لي من جمع وترتيب وتحليل تضمنه هذا البحث، فما كان فيه من صواب

فهو محض فضل الله علي، فله الحمد والمنة، وما كان فيه من خطأ فاستغفر الله تعالى وأتوب إليه، وحسبي أني كنت حريصة على تحرى الصواب ، وأرجو الله أن يرزقنى فيه القبول، وأن لا أحرم من الأجر. وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا البحث كل من قرأه، وأن يجعل عملى فيه خالصا لوجهه الكريم، وأختم هذا البحث بقول الله تعالى: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)[١]

[١] سورة الحشر: آية ١٠.

المراجع

ـ **الإرشاد في معرفة علماء الحديث ـ** لأبى يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (المتوفى: ٤٤٦هـ) ـ تحقيق: د. محمد سعيد عمر إدريس ـ مكتبة الرشد – الرياض ـ طـ: الأولى، ١٤٠٩

ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ـ لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) ـ تحقيق: علي محمد البجاوي ـ دار الجيل، بيروت ـ طـ: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ـ لأبى الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم د الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) ـ تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود ـ دار الكتب العلمية ـ طـ: الأولى ـ ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م

ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** ـ لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ـ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ طـ: الأولى ـ ١٤١٥ هـ

ـ **إكمال المعلم بفوائد مسلم** ـ للقاضى عياض ـ تحقيق: يحي إسماعيل ـ دار الوفاء ـ ط ـ الأولى ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

ـ **الانشراحُ وَرَفعُ الضِّيق في سِيرة أبي بَكْر الصِّديق شخصيته وَعَصره** ـ لعَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ـ دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ـ مصر ـ عام النشر: ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م

ـ **البداية والنهاية** ـ لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ـ تحقيق: علي شيري ـ دار إحياء التراث العربيـ ط: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م

ـ **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام** ـ لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ـ تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف ـ دار الغرب الإسلامي ـ طـ: الأولى، ٢٠٠٣ م

ـ **تاريخ ابن معين (رواية الدوري)** ـ لأبى زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري ، البغدادي (المتوفى: ٢٣٣هـ) ـ تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف ـ مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ـ مكة المكرمة ـ طـ: الأولى، ١٣٩٩ - ١٩٧٩

ـ **تاريخ خليفة بن خياط** ـ لأبى عمرو خليفة بن خياط الشيباني (المتوفى: ٢٤٠هـ) ـ تحقيق: د. أكرم ضياء العمري ـ دار القلم، مؤسسة الرسالة ـ دمشق، بيروتـ ط: الثانية، ١٣٩٧

ـ **تاريخ دمشق** ـ لأبى القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

ـ **التاريخ الكبيرـ** لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبى عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) ـ دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن ـ طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان

ـ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»

لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ـ لأبى العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم ـ المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ) ـ دار الكتب العلمية – بيروت

ـ تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب ـ لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ـ تحقيق عبد الغنى بن حميد بن محمود القبيسى ـ ط: الثانية، ١٤١٦هـ . ١٩٩٦م.

ـ تفسير القرآن العظيم ـ لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ـ تحقيق: سامي بن محمد سلامة ـ دار طيبة للنشر والتوزيع ـ ط: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م

ـ الثقات ـ لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، أبى حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ـ طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية ـ دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ـ ط: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣

ـ **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي** ـ لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)ـ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ـ دار الكتب المصرية – القاهرة ـ ط: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

ـ **الجرح والتعديل**ـ لأبى محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) ـ طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ بحيدر آباد الدكن ـ الهند ـ دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ ط: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.

ـ **الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد** ذلك] ـ لأبى عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) ـ تحقيق ودراسة: الدكتور/ عبد العزيز عبد الله السلومي ـ مكتبة الصديق ـ الطائف، المملكة العربية السعودية ـ عام النشر: ١٤١٦ هـ.

ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ـ لأبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) ـ السعادة ـ بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ـ ثم صورتها عدة دور منها ١ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت، ٢ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)

ـ **حياة محمد ورسالته** ـ لمحمد علي اللاهوري القادياني (١٨٧٤– ١٩٥١ م) أحد أتباع غلام أحمد القادياني (الذي ادعى النبوة) ، ورئيس الفرع اللاهوري للقاديانية (فليُحذر) ـ ترجمه إلى الإنجليزية: محمد يعقوب خان ـ

ترجمه إلى العربية: منير بعلبكى (ت ١٤٢٠ هـ) ـ دار العلم للملايين – بيروت ـ الطبعة: الثانية، ١٣٩٠ هـ

ـ **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام** ـ لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ) ـ تحقيق: عمر عبد السلام السلامي ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ طـ: الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ـ **سنن أبي داود** ـ لأبى داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت

ـ **سنن الترمذي** ـ لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبى عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ـ تحقيق وتعليق: ـ أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ـ طـ: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

ـ **السنن الكبرى** ـ لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبى بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ـ تحقيق: محمد عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات ـ طـ: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

ـ **سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)** ـ لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي ـ المدني (المتوفى: ١٥١هـ) ـ تحقيق: سهيل زكار ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م

ـ **سير أعلام النبلاء** ـ لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ـ دار الحديث- القاهرة ـ ط : ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

السيرة النبوية لابن هشام ـ لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، أبى محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) ـ تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ ط: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م

ـ **السيرة النبوية - دروس وعبر** ـ لمصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) ـ المكتب الإسلامي ـ ط: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

ـ **السِّيرةُ النّبوية - عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث** ـ لعَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ـ دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: السابعة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

ـ **السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة** ـ محمد أبو شهبة ـ دار القلم، دمشق ـ ط الثالثة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

ـ **شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام** ـ جمعه ورتبه ووقف على طبعه: بشير يموت ـ المكتبة الأهلية، بيروت ـ ط: الأولى، ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م

ـ **شرح صحيح البخارى لابن بطال** ـ لابن بطال أبى الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) ـ تحقيق: أبى تميم ياسر بن إبراهيم ـ مكتبة الرشد – السعودية، الرياض ط: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م

ـ **شعب الإيمان** ـ لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبى بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ـ حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ـ أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند ـ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م

ـ **طبقات الفقهاء** ـ لأبى اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ) ـ هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ) ـ تحقيق: إحسان عباس ـ دار الرائد العربي، بيروت – لبنان ـ ط: الأولى، ١٩٧٠م.

ـ **الطبقات الكبرى** ـ لأبى عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) ـ تحقيق: محمد عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

ـ **العلل ومعرفة الرجال** ـ لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ـ تحقيق: وصي الله بن محمد عباس ـ : دار الخاني , الرياض ـ ط: الثانية، ١٤٢٢ هـ – ٢٠١

عمدة القاري شرح صحيح البخاري

لأبى محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

ـ غاية السول في سيرة الرسول ـ لعبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي، ثم القاهري، زين الدين (المتوفى: ٩٢٠هـ) ـ تحقيق: دكتور محمد كمال الدين عز الدين علي ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ لبنان ـ ط: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م

فقه السيرة ـ لمحمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ) ـ دار القلم – دمشق ـ تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني ـ ط: الأولى،١٤٢٧هـ

لسان العرب ـ لمحمد بن مكرم بن على، أبى الفضل، جمال الدين ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ) ـ دار صادر – بيروت ـ الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

ـ لسان الميزان ـ لأبى الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ـ حققه: عبد الفتاح أبو غدة ـ دار البشائر الإسلامية ـ ط: الأولى، ٢٠٠٢ م

ـ **المحبر**ـ لمحمد بن حبيب بن أمية بن عمرو أبى جعفر البغدادي (المتوفى: ٢٤٥هـ) ـ تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر ـ دار الآفاق الجديدة، بيروت

ـ **المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم** ـ لعبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناني،، ثم المصري، عز الدين (المتوفى: ٧٦٧هـ).

ـ تحقيق: سامي مكي العاني ـ دار البشير ـ عمان ـ ط: الأولى، ١٩٩٣م

ـ **المستدرك على الصحيحين**ـ لأبى عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) ـ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠

ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ـ لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد، وآخرون ـ إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ـ مؤسسة الرسالة ـ ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

معجم الشيوخـ لأبى الحسين محمد بن أحمدبن عبدالرحمن بن يحيى بن جُمَيْع الغساني الصيداوي (المتوفى: ٤٠٢هـ) ـ تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري ـ مؤسسة الرسالة، دار الإيمان - بيروت , طرابلس ـ ط: الأولى، ١٤٠٥هـ.

ـ **المعجم الكبير**ـ **سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، أبو القاسم الطبرانـي (المتـوفى: ٣٦٠هـ)** ـ تحقيـق: حمـدي بـن عبـد المجيـد السـلفي ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ ط: الثانية.

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع

لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ) ـ عالم الكتب، بيروت ـ ط: الثالثة، ١٤٠٣ هـ.

معجم مقاييس اللغة ـ لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ـ تحقيق: عبد السلام محمد هارون ـ دار الفكر ـ عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

معرفة الصحابة لابن منده ـ لأبى عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ) ـ حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري

ـ مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة ـ ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

ـ **معرفة الصحابة** ـ لأبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)ـ تحقيق: عادل بن يوسف العزازي ـ دار الوطن للنشر، الرياض ـ ط: الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م

ـ **المغازي** ـ لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي، أبى عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)

ـ تحقيق: مارسدن جونس ـ دار الأعلمي – بيروت ـ طـ: الثالثة – ١٤٠٩/١٩٨٩.

مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثارـ لأبى محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) ـ تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ـ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان طـ: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

ـ المؤتَلِف والمختَلِف ـ لأبى الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ) ـ تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ طـ: الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م

ـ المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم

لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدي (المتوفى: ٣٧٠هـ)ـ تحقيق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو ـ دار الجيل، بيروت ـ طـ: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١م

موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ـ لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) ـ تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم ـ تحقيق: د. علي دحروـ نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي ـ الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني ـ مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ـ طـ: الأولى – ١٩٩٦م.

ـ **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى** ـ لعلي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، أبى الحسن السمهودي (المتوفى: ٩١١هـ) ـ دار الكتب العلمية – بيروت ـ ط: الأولى ١٤١٩هـ.

الوافي بالوفيات ـ لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ـ دار إحياء التراث – بيروت ـ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م